أخلاق المؤمنين والمؤمنات

في سورة الحُجُرات

إعداد

دكتور/ حسين عامر

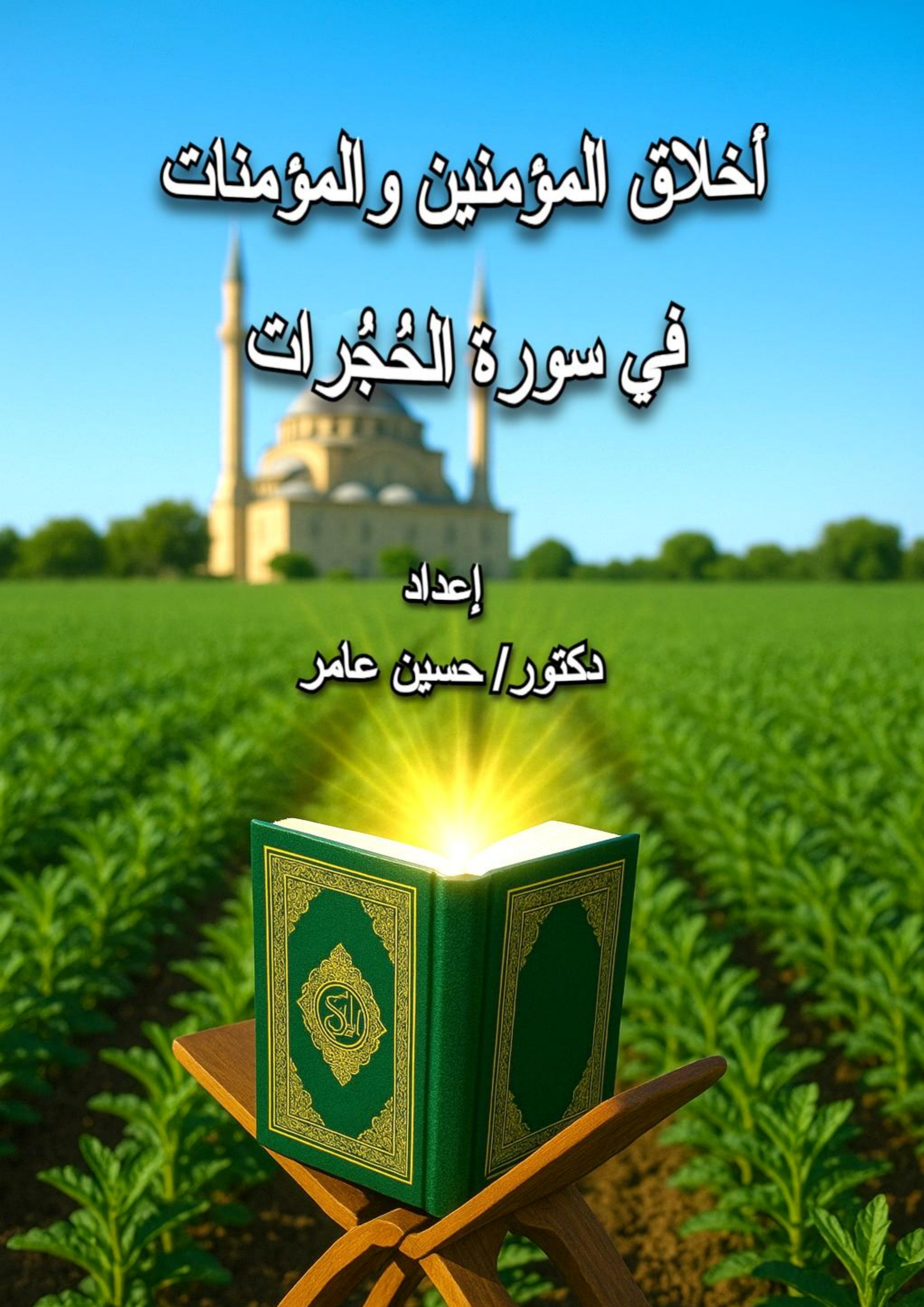

بسم الله الرحمن الرحيم

من الوحي الإلهي

قال الحق تبارك وتعالى :﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 71-72]

المقدمة

الحمد لله الذي نزَّل القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ الذي كان خلقه القرآن فهو خير من تلا الكتاب وبيّنه وطبقه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد /

يُعدّ تفسير كتاب الله تعالى من أعظم العلوم وأشرفها، إذ يتعلق بأفضل الكلام وأصدق البيان، ومن هذا المنطلق، جاء هذا العمل المتواضع في تفسير سورة الحجرات، والذي أسميته:

(أخلاق المؤمنين والمؤمنات في سورة الحجرات)

وسورة الحجرات من سور القرآن العظيمة، فإنها مع قصرها، وقلة عدد آياتها جاءت شاملة لأحكام وآداب وأوامر ونواه لا تجدها مجتمعة في سورة سواها، فالسورة تشتمل على كثير من حقائق العقيدة والتشريع والأخلاق، وقد جاءت آياتها كمنهج متكامل لمجتمع إسلامي، سليم العقيدة، نقي القلب، عف اللسان، مهذب الأخلاق، نقي السريرة مع الله ؛ مجتمع له أدب مع الله جل وعلا وأدبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أدبه مع نفسه ، ومع غيره ، مجتمع تصان فيه الحرمات، ولا تتبع فيه العورات ؛ مجتمع رباه القرآن على يد من كان خلقه القرآن صلى الله عليه وسلم.

وقد تميز هذا التفسير بعدد من السمات المنهجية والعلمية، من أبرزها:

- الاعتماد على المنهج التحليلي الموضوعي، وذلك من خلال تفسير الآيات وبيان معاني المفردات الغريبة ، وأسباب النزول من خلال أمهات كتب التفسير مثل: تفسير الطبري، ابن كثير، القرطبي.

- قمت بالتركيز على الهدايات التربوية والسلوكية في الآيات، وربطها بواقع المسلم المعاصر.
- اللغة الميسّرة :تم اعتماد أسلوب واضح وسلس، يناسب القارئ غير المتخصص، دون الإخلال بالدقة العلمية.
- التركيز على الجانب الأخلاقي :لما لسورة الحجرات من محور مركزي في تهذيب النفس والمجتمع؛ مع توضيح كيف بُنيت السورة على منظومة من القيم الإسلامية العليا.
- يُعدّ هذا التفسير مناسبًا للمدارسة في الحلقات التربوية للشباب ، كما يصلح ليكون مادة تعليمية في حلقات تحفيظ القرآن.

أسال الله تعالى أن ينفع به جامعه وناشره والدال عليه في الدارين وأن يكون القرآن حجة لنا لا علينا، وأن يجعله الله صدقة جارية، نافعة لي ولوالديّ، ولكل من ساهم في نشر هذا العمل أو الاستفادة منه.

فاللهمَّ لك الحمد على ما وفَّقتَ وأعنتَ ، استزادةً لفضلك ، واستدراراً لرضاك ، وقياماً بحقّ شكرك ، حمداً يليق بجلال وجهِك وعظيم سلطانك ، فلك الحمد في الأولى والآخرة .

فتقبل اللهمّ منّي صالح ما أعطيتني ، واجعله خالصاً لوجهك الكريم ، وتجاوز عن خطأي وزللي إنّك سميع الدعاء.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد ، النبيّ الأمّيّ الطاهر الزكيّ ، وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

وكتبه:

د. حسين عامر

سورة الحجرات

وهي مدنية

وآياتها 18 آية

التمهيد ويحتوي على

- سبب التسمية
- بين يدي السورة

تفسير سورة الحجرات

التمهيد

التعريف بالسورة

سورة الحجرات: مدنية، نزلت في 9هـ.

وعدد آياتها: 18 آية.

سبب التسمية:

وسميت بهذا الاسم نسبة لحجرات النبي صلى الله عليه وسلم.

ومفهوم كلمة الحجرة يختلف عن مفهومنا اليوم، فالحجرة عند العرب هي ما احتجرته من أرض، أي قمت بتسويره، وكانت غرفا ضيقة، فقد ورد في الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ كان إذا أراد السجود في صلاة الليل غمز عائشة فكفت رجليها ريثما يسجد، فإذا قام بسطتهما.

والبيت هو مكان المبيت ليلا، وعلي هذا فالحجرة أكبر من البيت والبيت أكبر من المخدع، ومن هنا ندرك قوله تعالي «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات» ولم يقل من وراء البيوت، وكذلك يصحح المفهوم الذي يتصور أن مساكن رسول كانت ضيقة وان أبوابها كانت تفتح علي المسجد، والصحيح ان أبواب فنائها كانت شارعة قصاد الجهة الشرقية للمسجد الشريف.

وحجرات أمهات المؤمنين هي مساكن زوجات الرسول ، في المدينة ، ويبلغ عددها تسع حجرات، لم يبنها صلى الله عليه وسلم دفعة واحدة، وانما بدأ ببناء حجرة أم المؤمنين سودة بنت زمعة، ثم في سنة 2هـ بنى حجرة لأم المؤمنين عائشة، ثم توالي بناء الحجرات حتى تكامل عددها تسعًا.

وكانت القبلة يومئذ إلى بيت المقدس، وكانت الغرفتان في مؤخرة المسجد من الجهة الشرقية، فلما تحولت القبلة إلى الكعبة المشرفة أصحبتا في مقدمة جدار المسجد، إلى يسار المصلي عندما يتوجه إلى الكعبة بالجهة الشرقية لمسجده الشريف، وما بينها وبين منبره الشريف تقع الروضة الشريفة.

ومسكن كل من أمهات المؤمنين، أي حجرتها تتكون من غرفة (لا يزيد ارتفاع سقفها عن خمسة أذرع، أي مترين ونصف) وصفّة (أي ظلة) وفناء به منافع كمكان للطبخ ، ويحيط بالفناء سور، بعضه من اللبن (طوب الطين) والبعض الآخر من جريد النخل، وأما بناؤها فكان من اللبن، وسقفها من الجريد.

وكان لهذه الغرف والحجرات أبوابا وستورا، والذي يبدو لي أن الغرف كان لها أبواب من خشب، وأما الحجرات التي أمام الغرف، فكانت عليها الستور(جمع ستارة) وهذه الستور كانت من مسوح الشعر.

وأما مقاييسها: فقد قال الحسن البصري: كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفان فأتناول سقفها بيدي.

وبقيت هذه الحجرات ، حتى أزالها عمر بن عبد العزيز (والي المدينة) بأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك لتوسعة المسجد، ولقد عارض كثير من أبناء الصحابة وأكابر التابعين إزالتها، فقال سعيد بن المسيب يوم هدمت: "والله لوددت أنهم تركوها على حالها، ينشأ ناشئ من أهل المدينة، ويقدم القادم من الأفق، فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، فيكون ذلك مما يزهد الناس في التفاخر والتكاثر"

ولم يتبق منها إلا حجرة عائشة، لأن الرسول دفن فيها وكذلك صاحباه أبو بكر الصديق وعمر، ولما أُدخلت في المسجد، بنى حولها عمر بن عبد العزيز، جدارا مخمس الأضلاع، حتى لا يستطيع أحد اتخاذها قبلة، وهذا الجدار لا باب له، وهو موجود حتى الآن ويكسى بكسوة خضراء شبيهة بالتي تكسى سنويا للكعبة المشرفة، يحيط بهذا الجدار اليوم الشبك الحديد الأخضر اللون الذي يشاهده من يزور الروضة الشريفة.

بين يدي السورة

1-سورة «الحجرات» تبدأ بنداء للمؤمنين، تعلمهم الأدب مع الله ، وما يجب عليهم نحو خالقهم- سبحانه-، ثم الأدب مع نبيهم صلى الله عليه وسلم.

2-ثم وجهت إليهم نداء ثالثا أمرتهم من خلاله بالتثبت من صحة الأخبار التي تصل إلى مسامعهم، وبينت لهم جانبا من مظاهر فضل الله عليهم.

3-ثم انتقلت السورة الكريمة إلى الحديث عما يجب على المؤمنين نحو إخوانهم في العقيدة، إذا ما دب بينهم نزاع أو قتال، فأمرت بالإصلاح بينهم، وبمقاتلة الفئة الباغية إذا ما أبت الصلح، وأصرت على بغيها.

4-ثم وجهت بعد ذلك إلى المؤمنين نداء رابعا نهتهم فيه عن مفسدات الأخوة كالسخرية والهمز واللمز ، ثم نداء خامسا أمرتهم فيه باجتناب الظن السيئ بالغير، دون أن يكون هناك مبرر لذلك، ونهتهم عن التجسس وعن الغيبة.

5-وبعد هذه النداءات المتكررة للمؤمنين، وجهت نداء إلى الناس جميعا، بينت لهم فيه أنهم جميعا قد خلقوا من ذكر وأنثى، وأن أكرمهم عند الله هو أتقاهم لله- تعالى.-

6-ثم ردت على الأعراب الذين قالوا آمنا دون أن يستقر الإيمان في قلوبهم فتكلمت عن حقيقة الإسلام وحقيقة الإيمان ثم وضحت صفات المؤمنين الصادقين، وأن المنة لله وحده جل وعلا في أن يمن على عباده بالهداية وأمرت كل مؤمن أن يشكر الله- تعالى- على نعمة الإيمان.

****

الفصل الأول

الأدب مع الله ورسوله

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 1-5]

الفصل الأول

الأدب مع الله ورسوله

[الآيات: 1-5]

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 1]

سبب نزول الآية :

هذه الآيات نزلت في أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما –

عن ابن أبي مليكة قال: (كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس رضي الله عنه ، وأشار الآخر برجل آخر، فقال أبو بكر لعمر – رضي الله عنهما -: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله – تعالى -: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) [الحجرات: من الآية2]) رواه البخاري.

ومن الواضح أن هذا السبب نزلت فيه الآيتان الأولى والثانية من السورة .

(يا أيها الذين آمنوا) قال ابن مسعود إذا سمعت الله يقول: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ ؛ فأصغ لها سمعك ؛ فإنه خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه.[1]

(لا تقدموا) أصلها لا تتقدموا حذفت إحدى التاءين تخفيفا، والمراد: لا تسبقوا الله ورسوله بقول أو بفعل، وفيه تشبيه لمن يتعجل في إصدار حكم من أحكام الدين بغير استناد إلى حكم الله ورسوله، بحالة من يتقدم بين يدي سيده أو رئيسه، بأن يسير أمامه في الطريق، أو على يمينه أو شماله ، وهذا في العادة مستهجن.

---

[1] من علامات السور المدنية أن يكون فيها: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾

(واتقوا الله) أي اتخذوا وقاية من عذاب الله – عز وجل – وهذا لا يتحقق إلا إذا قام الإنسان بفعل الأوامر وترك النواهي.

(إن الله سميع عليم) هذه الجملة تحذير لنا أن نقع فيما نهانا عنه من التقدم بين يدي الله ورسوله، أو أن نخالف ما أمر به من تقواه .

(سميع) أي سميع لما تقولون **(عليم)** أي عليم بما تقولون وما تفعلون؛ لأن العلم أشمل وأعم، إذ إن السمع يتعلق بالمسموعات، والعلم يتعلق بالمعلومات، والله تعالى محيط بكل شيء علما، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

والمعنى : لا تتقدموا بهذه الآراء التي تختلفون فيها ﴿ بين يدي الله ورسوله﴾ قبل أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم رأيه.

ولذلك لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن قال له: (بم تحكم؟ قال: بكتاب الله تعالى، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال: (الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم) [2]

هل هذا الأدب خاص بحياة النبي صلى الله عليه وسلم ؟

الصحيح أنه ليس خاصا بحياته صلى الله عليه وسلم، بل لا يجوز لأحد أن يتقدم برأي أو بأمر في مسألة إذا كان فيها نص، من كتاب الله تعالى، أو من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا يقول: هذا رأي استحسنته ، والاجتهاد يكون لفهم النص **(أي كلام الله وكلام رسوله)** لا لرد النص ،وإذا لم تستوعب عقولنا الفهم الصحيح للنص نتهم عقولنا ولا نتهم النص .

وكذلك أيضا لا تقدموا حكمكم ولا رأيكم قبل أن تعرضوا الأمر على شرع الله تعالى .

---

[2] رواه أحمد وقال ابن كثير إنه جيد الإسناد وضعفه الألباني .

فمن يدعي مخالفة شيء من الشرع للعقل فإما أن يكون هذا الأمر ليس من الشرع، أو أن يكون العقل فاسدا ، قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: 6] وقال تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: 19] ، فمن زين له عقله أن في الشرع خللا ونقصا فهو أعمى فاسد العقل وإن ظن أنه مفكر .

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: 2]

(ولا تجهروا له بالقول) أي لا تخاطبوه: يا محمد، يا محمد، ولكن يا نبي الله، ويا رسول الله، توقيرا له وتعظيما. (3)

وما ذكره العلماء هو في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أما بعد وفاته فالأدب عند الكلام عنه فلا يقال قال محمد؛ حيث إن ذلك من الجفاء وسوء الأدب وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا .

(لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) لا تجعلوا أصواتكم أعلى من صوته.

(تحبط) أى: إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده صلى الله عليه وسلم خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه، فيحبط الله عمل من أغضبه وهو لا يدرى.

ومعنى الآية : لا تجهروا بالكلام الذي فيه شيء من الجفاء أو نحو ذلك؛ كما يجهر بعضكم لبعض، بل غضوا أصواتكم عنده، ولا ترفعوا صوتكم؛

(3) ومن كرامته صلى الله عليه وسلم أن الله- تعالى- لم يخاطبه في كتابه باسمه، وإنما خاطبه باللقب، كقوله- سبحانه-: يا أيها النبي. يا أيها الرسول. يا أيها المدثر. مع أنه- سبحانه- قد نادى غيره من الأنبياء بأسمائهم، كقوله- تعالى-: وقلنا يا آدم. وقوله- عز وجل: وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا. ...الخ.

فإن في ذلك شيئا من الجفاء، وشيئا من غلظ الطبع، فكانوا إذا تكلم أحدهم لا يكاد يسمع النبي صلى الله عليه وسلم حرصا منهم على التأدب، وخوفا من حبوط الأعمال.

قال ابن كثير: «وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتفعت أصواتهما، فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا. وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره صلى الله عليه وسلم كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام، لأنه محترم حيا وفي قبره صلوات الله وسلامه عليه دائما»[4]

قصة ثابت بن قيس:

ولما نزلت هذه الآية: ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ كان ثابت بن قيس بن شماس – رضي الله عنه – جهوري الصوت، فتغيب في بيته وصار لا يحضر مجالس النبي صلى الله عليه وسلم، فافتقده الرسول صلى الله عليه وسلم وسأل عنه فأخبروه أنه في بيته منذ نزلت الآية، فأرسل إليه رسولا يسأله، فقال: إن الله تعالى يقول: { **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصوتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** } وإنه قد حبط عمله، وإنه من أهل النار، فدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم فحضر، وأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة، وقال: « **أما ترضى أن تعيش حميدا، وتقتل شهيدا، وتدخل الجنة؟** » قال : بلى رضيت.[5]

فقتل – رضي الله عنه – شهيدا في وقعة اليمامة، وعاش حميدا، وسيدخل الجنة بشهادة الرسول – عليه الصلاة والسلام –

---

[4] «تفسير ابن كثير - ط العلمية» (7/ 343)

[5] رواه البخاري في الأدب المفرد، وابن أبي حاتم، وابن كثير، وصححه الألباني وغيره

وبعد أن استشهد ثابت في المعركة، مر به واحد من المسلمين الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام ورأى على جثمان ثابت درعه الثمينة، فظن أن من حقه أن يأخذها لنفسه، فأخذها!!

وبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت في منامه ؛فقال له: اني أوصيك بوصية، فإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه؛ إني لما استشهدت بالأمس، مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي.. وإن منزله في أقصى الناس، وفرسه يستن في طوله، أي في لجامه وشكيمته وقد كفأ على الدرع برمة، وفوق البرمة رحل.. فأت خالدا، فمره أن يبعث فيأخذها.. فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله أبي بكر، فقل له: إن علي من الدين كذا كذا. فليقم بسداده. فلما استيقظ الرجل من نومه، أتى خالد بن الوليد، فقص عليه رؤياه.. فأرسل خالد من يأتي بالدرع، فوجدها كما وصف ثابت تماما.

ولما رجع المسلمون الى المدينة، قص المسلم على الخليفة الرؤيا، فأنجز وصية ثابت. (6)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: 3]

قال ابن عباس – رضي الله عنهما ـ:لما نزل قوله: (لا ترفعوا أصواتكم) تألي أبو بكر ألا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار، فأنزل الله في أبي بكر: (إن الذين يغضون أصواتهم .....)

تألي أبو بكر :حلف يمينا.

كأخي السرار : كصاحب السرار أي يكلمه بصوت منخفض .

﴿ **امتحن الله قلوبهم** ﴾ الامتحان : الاختبار أو بمعنى خلص، فكما أن امتحان الذهب بالنار يخلصه من شوائب أي معدن آخر.

---

(6) قصة وصية ثابت بن قيس في المنام بعد استشهاده رواها ابن عبد البر في *الاستيعاب* (1/205)، وذكرها ابن حجر في *الإصابة* (1/259)، والذهبي في *سير أعلام النبلاء* (1/291)، وقال عنها: "مشهور في الحكايات، ولا يُعوَّل عليه"، وهي مرسلة بلا إسناد متصل، ولا تصح سندًا. وقد ذكرتها هنا من باب الاستئناس فقط.

إذا: قلوبهم أصبحت أوعية للتقوى، وليس في قلوبهم شيء آخر قط غيرها، فطهرت ونقت، وتعطرت واستقبلت التقوى في تربة خصبة خالصة لا تشوبها شوائب أخرى.

﴿ **للتقوى** ﴾ أي: لتقوى الله تعالى؛ فلما امتحنها ظهر أنها ممتلئة بالتقوى، ودل على ذلك غضهم أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدهم الله في هذه الآيات بقوله :**(لهم مغفرة وأجر عظيم** ﴾ المغفرة: ستر الذنوب، وإزالة أثرها، والأجر: الثواب الذي يحصل عليه المؤمن مقابل عمل عمله.

قوله – تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 4-5]

سبب نزولها:

قال ابن كثير: ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فيما أورده غير واحد، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن الأقرع بن حابس أنه نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد يا محمد، فلم يجبه، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن حمدي لزين وإن ذمي لشين، فقال ذاك الله عز وجل .

والظاهر أنهم كانوا مجموعة وليس شخصا واحدا، وكان الأعراب ذوى خشونة وجفاء في أخلاقهم وطباعهم قبل أن يدخلوا الإسلام فيرقق طباعهم ويحسن أخلاقهم، وكان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينام القائلة - أي: نصف النهار - فجاء وفد من أعراب بني تميم يفادون أسراهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه من وراء الحجرات أن يخرج إليهم دون أن ينتظروه حتى يخرج من حجرته، فأنزل الله عليه تلك الآية.

﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات** ﴾ والحجرات جمع حجرة، وهي الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، فأصل كلمة الحجرة من الحجر والحجر المنع، وكل ما منعت أن يوصل إليه فقد حجرت عليه.

{ أكثرهم لا يعقلون} قال ابن عثيمين: «يعني ليس عندهم عقل، والمراد بالعقل هنا عقل الرشد؛ لأن العقل عقلان: عقل رشد، وعقل تكليف، فأما عقل الرشد فضده السفه، وأما عقل التكليف فضده الجنون، فمثلاً: إذا قلنا: يشترط لصحة الوضوء أن يكون المتوضئ عاقلاً مميزاً، فالمراد بالعقل هنا عقل التكليف، وإذا قلنا: يشترط للتصرف في المال أن يكون المتصرف عاقلاً، أي عقل رشد، يحسن التصرف، فالمراد بقوله هنا: **{أكثرهم لا يعقلون}** أي عقل رشد؛ لأنهم لو كانوا لا يعقلون عقل تكليف لم يكن عليهم لوم ولا ذم، لأن المجنون فاقد العقل لا يلحقه لوم ولا ذم، وهذا واضح»[7]

﴿ **ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم** ﴾ كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يحتجب عن الناس إلا في أوقات يشتغل فيها بمهمَّات نفسه، وذلك حقٌّ له، فمن سوء الأدب إزعاجه وقت راحته، وعلى من أراد لقاءه أن ينتظره حتى يخرج.

لكن هؤلاء ما صبروا؛ بل أخذوا يصيحون، ويكررون: يا محمد ؛ اخرج، يا محمد اخرج إلينا؛ يكررون ذلك؛ فدل ذلك على أن عندهم شيئا من الجفاء؛ لأنهم نشئوا في البوادي وفي البراري.

وفي الحديث: « **إذا استأذن أحدكم ثلاث مرات فلم يؤذن له؛ فلينصرف** »[8] فيمكن أن هؤلاء كرروا الاستئذان: يا محمد يا محمد ، وهم يستأذنونه ويقولون: اخرج إلينا؛ فلذلك ما صبروا.

﴿ **والله غفور رحيم** ﴾ وعدهم بالمغفرة مع ما حصل منهم من هذا الجفاء، وذلك دليل على أن الله تعالى تسبق رحمته غضبه ؛ كتب على نفسه : « إن رحمتي غلبت غضبي »

---

[7] «تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد» (ص21)

[8] ومن هذا الأدب نعلم أنه ينبغي ألا ينادى الناس بعضهم بعضًا من وراء مساكنهم، وأن لا يستأذنوا في أوقات الراحة، وينبغي أن يكون الاستئذان بالقرع الخفيف على الباب، وقد قام مقامه الضغط على زر الجرس، فإذا فتح للطارق سلم على من فتح له. أي: قال له: السلام عليك، ولا يدخل البيت إلا بإذن ممن له حق الإذن.

وجوب الأدب مع العلماء

وهذا الأدب قد وعاه السلف حيث تجاوزوا به شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كل شيخ وعالم من العلماء، احتراما لهم، حيث إنهم يحملون ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سنته.

لقد كثر المتعالمون في عصرنا، وأصبحت تجد شابا حدثا يتصدر لنقد العلماء وتجريحهم والتطاول عليهم ،وهذا أمر خطير، لأن جرح العالم ليس جرحا شخصيا، كأي رجل ، ولكنه جرح بليغ الأثر، يتعدى الحدود الشخصية، إلى رد ما يحمله العالم من الحق.

ولذلك استغل المشركون من قريش هذا الأمر، فلم يطعنوا في الإسلام أولا، بل طعنوا في شخص الرسول، صلى الله عليه وسلم لأنهم يعلمون – يقينا – أنهم إن استطاعوا أن يشوهوا صورة الرسول صلى الله عليه وسلم في أذهان الناس، فلن يقبلوا ما يقوله من الحق.

إذن، فالذي يجرح العالم يجرح العلم الذي معه.

ومن جرح هذا العلم، فقد جرح إرث النبي، صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك فهو يطعن في الإسلام من حيث لا يشعر.

فيجب علينا أن نحفظ للعلماء مكانتهم، وفاعليتهم في قيادة الأمة، وأن نتأدب معهم .

ونحن نعلم أنه لا معصوم إلا من عصم الله وهم الأنبياء والملائكة ؛ وعلى ذلك فيجب أن ندرك أن العالم معرض للخطأ، فنعذره حين يجتهد فيخطئ، ولا نذهب نتلمس أخطاء العلماء ونحصيها عليهم.

وندرك أن الخلاف موجود ؛لذلك يجب أن تتسع صدورنا للخلاف بين العلماء فلكل واحد منهم فهمه، ولكل واحد اطلاعه على الأدلة، ولكل واحد نظرته في ملابسات الأمور، فمن الطبيعي أن يوجد الخلاف بينهم

وينبغي أن نعرف أن عدم الأخذ بقول العالم، وأن مناقشته، والصدع ببيان الحق، يختلف تماما عن الطعن في العلماء

فالفرق بين الأمرين عظيم جدا، يجوز لنا ألا نأخذ بالفتوى، إذا لم توافق الدليل، لكن لا يجوز لنا الطعن في العلماء.

أهم ما يستفاد من الآيات الكريمة

1. وجوب التزام الأدب مع الله ورسوله في القول والفعل والحكم.
2. لا يجوز إصدار حكم أو رأي قبل معرفة حكم الله ورسوله فيه.
3. التحذير من تقديم العقول والآراء على النصوص الشرعية.
4. وجوب تقوى الله في التعامل مع الأحكام الشرعية.
5. الله تعالى سميع لأقوالنا، عليم بنيّاتنا وأعمالنا، فلا يخفى عليه شيء.
6. وجوب خفض الصوت عند مخاطبة النبي ﷺ، توقيرًا وتعظيمًا.
7. رفع الصوت عند النبي قد يؤدي إلى حبوط الأعمال دون شعور الإنسان.
8. الأدب في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم دليل على صدق الإيمان وحياة القلب.
9. هذا الأدب بعد وفاته ﷺ بعدم تقديم الهوى على النص الشرعي.
10. يجب تعظيم النبي لفظًا ومعنىً، حيًا وميتًا، وذكره باللقب النبوي اللائق.
11. هذا الأدب يشمل احترام العلماء والدعاة الذين يحملون ميراث النبوة.
12. مناداة النبي باسمه أو بصوت مرتفع فيه جفاء وسوء أدب.
13. بعض التصرفات قد تكشف ضعف العقل والرشد في السلوك.
14. يجب التفريق بين النقد العلمي والوقوع في العلماء وسبهم والطعن في دينهم.

الفصل الثاني

التثبت من الأخبار

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]

الفصل الثاني

التثبت من الأخبار

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]

هل صح سبب نزول في هذه الآية ؟

ذكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط ،وأن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه ليجبي الزكاة من بني المصطلق، فلما أقبل إليهم لأخذ الزكاة استقبلوه في الطريق؛ فخيل إليه أنهم سيقتلونه؛ فرجع هاربا إلى المدينة وقال: منعوا الزكاة، وكادوا يقتلونني، فصدقوه، وهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يغزوهم ، وبينما هو كذلك إذ جاء وفدهم؛ وفد بني المصطلق، وقالوا: يا رسول الله، إننا استقبلنا رسولك، وإنه رجع بعدما قابلنا، فقال: هل منعتم؟ قالوا : ما منعنا وإنما فرحنا بقدومه فعند ذلك نزلت الآية.

والصحيح الذي يليق بصحابة رسول الله عدم ثبوت صحة هذه القصة وقد وردت بأسانيد كلها ضعيفة . [9].

---

[9] وقد انتشرت في كتب التفسير للأسف روايات تصف (الوليد بن عقبة) أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه هو الذي نزلت في هذه الآية وأنه فاسق بالنص من القرآن، يقول ابن كثير رحمه الله وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق، وقد روي ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق، وهو الحارث بن ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها، قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن سابق، حدثنا عيسى بن دينار، حدثني أبي أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه، وهذا السند الذي قال عنه ابن كثير بأنه من أحسنها هو سند ضعيف؛ فإن في السند محمد بن سابق، ضعفه ابن معين ووثقه العجلي، وقال يعقوب بن شيبة (ثقة لا يوصف بالضبط) وقال الحافظ عنه في التقريب (صدوق) ودينار وهو والد عيسى ذكره ابن حبان في الثقات مع أن ابنه عيسى هو من المجاهيل، فالرواية إذن ضعيفة بالرغم من أنها أحسن الموجود، ورواه الطبري أيضا وكذلك البيهقي في سننه (54/9) من طريق العوفي عن ابن عباس، وهذا إسناد مسلسل بالعوفيين والعوفيون ضعفاء كما هو معلوم، كذلك أورد ابن كثير أقوالا لمجاهد وقتادة وابن أبي ليلى، وكلها روايات مرسلة ، وهذه المرسلات لا تصلح لإثبات تهمة الفسق على صحابي فإننا لا نقبلها في أحكام الطهارة ولا الصلاة، فكيف نقبلها في جرح خير هذه الأمة؟ فلم يثبت بحمد الله من هذه الروايات شيء البتة.

{ **إن جاءكم فاسق** } الفاسق هو من انحرف في دينه وعقيدته ومروءته، وضده العدل وهو من استقام في دينه ومروءته.

ومفهوم المخالفة (10) يفيد أنه إن جاءنا عدل فإننا نقبل الخبر، إلا إذا كان الخبر مستغربا ، أو انفرد به عن الناس ،أو كان هناك دلائل قوية تكذبه ، أو كان يخبر عن قوم بينه وبينهم شحناء ،أو عرف عن هذا الناقل- رغم صلاحه – التسرع والعجلة ،إلى غير ذلك من الأسباب والاعتبارات .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: وكثير من الناقلين ليس قصده الكذب، لكن المعرفة بحقيقة أقوال الناس من غير نقل ألفاظهم، وسائر ما به يعرف مرادهم قد يتعسر على بعض الناس، ويتعذر على بعضهم) (11)

وقال ابن القيم – رحمه الله -: صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، ثم قال: وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد .(12)

ولا ننس حادثة الإفك ورمي الصديقة بنت الصديق بالبهتان ، رمى ابن سلول الكلمة فتلقفتها ألسنة المنافقين ، بل ووقع فيها بعض من أصحاب

وقال العلامة ابن عاشور: وقد اتفق من ترجموا للوليد بن عقبة على أنه كان شجاعا جوادا وكان ذا خلق ومروءة، واعلم أن جمهور أهل السنة على اعتبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عدولا وأن كل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به فهو من أصحابه.
وزاد بعضهم شرط أن يروي عنه أو يلازمه ومال إليه المازري. قال في «أماليه» في أصول الفقه «ولسنا نعني بأصحاب النبي كل من رآه أو زاره لماما إنما نريد أصحابه الذين لازموه وعززوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه وأولئك هم المفلحون شهد الله لهم بالفلاح» اهـ.
وإنما تلقف هذه الأخبار الناقمون على عثمان إذ كان من عداد مناقمهم الباطلة أنه أولى الوليد بن عقبة إمارة الكوفة فحملوا الآية على غير وجهها وألصقوا بالوليد وصف الفاسق، وحاشاه منه لتكون ولايته الإمارة باطلا. «تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير» (26/ 230)

(10) مفهوم المخالفة هو أحد أساليب الاستدلال في علم أصول الفقه، ويُقصد به:دلالة اللفظ على نقيض الحكم المذكور عند انتفاء القيد المذكور .بمعنى إذا ذُكر في النص حكمٌ مقيدٌ بوصف أو شرط، فنفهم أن الحكم يختلف عند عدم وجود ذلك الوصف أو الشرط.مثل قوله تعالى: "وأحل الله البيع وحرّم الربا "مفهومه :أن ما ليس بربا من البيوع حلال. وحديث"إنما البيع عن تراضٍ " مفهومه :أن البيع بلا تراضٍ لا يصح.

(11) انظر: منهاج السنة 6 -3030.

(12) انظر: أعلام الموقعين1-87.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بين الله – عز وجل – الحكمة من كوننا نتبين خبر الفاسق فقال:

{ **أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** }يعني أمرناكم أن تتثبتوا كراهة أن تصيبوا قوما بجهالة؛ لأن الإنسان إذا تسرع ولم يتثبت فقد يعتدي على غيره بناء على الخبر الذي سمعه من الفاسق، وقد يكرهه، وقد يتحدث فيه في المجالس، فيصبح بعد أن يتبين أن خبر الفاسق كذب نادما على ما جرى منه .

وفي هذه الآية دليل على أنه يجب على الإنسان أن يتثبت فيما ينقل من الأخبار ولا سيما مع الهوى والتعصب، فإذا جاءك خبر عن شخص وأنت لم تثق بقول المخبر فيجب أن تتثبت، وألا تتسرع في الحكم؛ لأنك ربما تتسرع وتبني على هذا الخبر الكاذب فتندم فيما بعد

وجوب التثبت من الأخبار وخطورة الشائعات

تتطور الشائعات بتطور العصور، ويمثل عصرنا الحاضر عصرا ذهبيا لرواج الشائعات المغرضة، وما ذاك إلا لتطور التقنيات، وكثرة وسائل الاتصالات، التي مثلت العالم قرية كونية واحدة، فآلاف الوسائل الإعلامية، والقنوات الفضائية، والشبكات المعلوماتية (الانترنت) ووسائل التواصل الاجتماعي، تتولى نشر الشائعات المغرضة، والحملات الإعلامية .

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال " متفق عليه .

وإن من أولى الخطوات في مواجهة حرب الشائعات تربية النفوس على الخوف من الله، والتثبت في الأمور، فالمسلم لا ينبغي أن يكون أذنا لكل ناعق، بل عليه التحقق والتبين، وطلب البراهين الواقعية، والأدلة الموضوعية، والشواهد العملية، وبذلك يسد الطريق أمام الأدعياء، الذين يعملون خلف الستور، ويلوكون بألسنتهم كل قول وزور.

كيف عالج الإسلام انتشار الإشاعات ؟

عالج الإسلام انتشار الإشاعات عن طريق ثلاثة أمور:

1- التثبت.

والتثبت له طرق كثيرة؛ فمنها :

أ- إرجاع الأمر لأهل الاختصاص:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]

قال الشيخ السعدي- رحمه الله -: في تفسير هذه الآية : هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك.

وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: {لعلمه الذين يستنبطونه منهم} أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان؟ أم لا فيحجم عنه؟ [13]

فكم من إشاعة كان بالمكان تلافي شرها بسؤال أهل الاختصاص.

---

[13] «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص190)

ب- التفكر في محتوى الإشاعة:

إن كثيرا من المسلمين لا يفكر في مضمون الإشاعة الذي قد يحمل في طياته كذب تلك الإشاعة، بل تراه يستسلم لها وينقاد لها وكأنها من المسلمات.

ولو أعطينا أنفسنا ولو للحظات في التفكر في تلك الإشاعات لما انتشرت إشاعة أبدا.

لقد بين الله حال المؤمنين الذين تكلموا في حادثة الإفك فقال سبحانه: ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ**﴾ [النور: 15]

(**إذ تلقونه بألسنتكم**) ومن البديهي أن الإنسان يتلقى الأخبار بسمعه لا بلسانه ، ولكن أولئك النفر من الصحابة الذين وقعوا في الإفك لم يستعملوا التفكير، لم يمرروا ذلك الخبر على عقولهم ليتدبروا فيه، بل قال الله عنهم أنهم يتلقون حادثة الإفك بألسنتهم ثم يتكلمون بها بأفواههم من شدة سرعتهم في نقل الخبر وعدم التفكر فيه.

2- الأمر الثاني: الناقل للإشاعة من الفاسقين.

كما في الآية السابقة يقول الله تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ...**) فجعل الله من نقل الخبر دون تثبت من الفاسقين.

فمجرد نقل الأخبار دون التأكد من صحتها موجب للفسق؛ وذلك لأن هذه الأخبار ليس كلها صحيح، بل فيها الصحيح والكاذب، فكان كل من نقل كل خبر وأشاعه؛ داخل في نقل الكذب، لذا جعله الله من الفاسقين.

وقد صرح النبي بذلك كما في صحيح مسلم : **(كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)**

فالمؤمن لابد له من الحذر في أن يكون عند الله من الفاسقين .

والعاقل يعلم أنه ليس كل ما يسمع يقال.

ولا كل ما يعلم يصلح للإشاعة والنشر.

وصح عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال: **(بئس مطية الرجل: زعموا)** رواه أبو داود وغيره.

وأما إن كانت الشائعة صحيحة واقعة، لكن في إذاعتها مفسدة وأذى، فإن ذلك محرم أيضا، خاصة إذا كان فيها أذية لمسلم وإضرار به، وتتبع لعوراته .

عن أبي برزة الأسلمي – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته) حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي وأحمد.

3- الأمر الثالث: التفكر في عواقب الإشاعة:

وعودة مرة ثالثة للآية السابقة في سورة الحجرات يقول الله تعالى: **(أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)**

هلا تفكرت في نتائج الإشاعة؟ هلا تدبرت في عواقبها؟

فاعلم أخي: إن كل خسارة، كل هم وغم أصاب أخاك المسلم، كل أموال أهدرت بسبب إشاعتك التي نشرتها أو ساعدت في نشرها فلك نصيب من الإثم فيها.

حادثة الإفك :

ولعل من أشهر الإشاعات قصة الإفك، تلك الحادثة التي كشفت عن شناعة الشائعات، وهي تتناول بيت النبوة ، وتتعرض لعرض أكرم الخلق على الله – صلى الله عليه وسلم -، وعرض الصديق والصديقة وصفوان بن المعطل – رضي الله عنهم أجمعين- وشغلت هذه الشائعة المسلمين بالمدينة شهرا كاملا، والمجتمع الإسلامي يصطلي بنار تلك الفرية، وتعصره الشائعة الهوجاء عصرا، حتى نزل الوحي ليضع حدا لتلك المأساة ، ويرسم المنهج للمسلمين عبر العصور للواجب اتخاذه عند حلول الشائعات المغرضة ﴿لَوْلَا

﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [النور: 12]

إلى قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 16-17]

وقد ورد أن أبا أيوب الأنصاري قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة، رضي الله عنها؟

قال: نعم، وذلك الكذب. أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله.

قال: فعائشة والله خير منك.

تقول عائشة – رضي الله عنها-: (فمكثت شهرا لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم)، حتى برأها الله من فوق سبع سماوات، – رضي الله عنها وأرضاها-.

كيف نتعامل مع الإشاعات :

لابد أن يكون هناك منهج محدد لكل مسلم يتعامل فيه مع الإشاعات،

ونلخصها في أربعة نقاط مستنبطة من حادثة الإفك، التي رسمت منهجا للأمة في طريقة تعاملها مع أية إشاعة إلى قيام الساعة :

النقطة الأولى: أن يقدم المسلم حسن الظن بأخيه المسلم:

قال الله تعالى : ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [النور: 12]

النقطة الثانية: أن يطلب المسلم الدليل على أية إشاعة يسمعها يقصد بها الخوض في عرض مسلم أو مسلمة:

قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: 13]

النقطة الثالثة: ألا يتحدث بما سمعه ولا ينشره:

فإن المسلمين لو لم يتكلموا بأية إشاعة، لماتت في مهدها قال الله تعالى:
﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 16]

النقطة الرابعة: أن يرد الأمر إلى أولى الأمر:

ولا يشيعه بين الناس أبدا، وهذه قاعدة عامة في كل الأخبار المهمة، والتي لها أثرها الواقعي: قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]**

فإذا حوصرت الشائعات بهذه الأمور الأربعة، فإنه يمكن أن تتفادى آثارها السيئة المترتبة عليها بإذن الله عز وجل.

أهم ما يستفاد من الآيات

1. وجوب التثبت من الأخبار قبل التصديق بها، خاصة إن جاء بها فاسق.
2. التحذير من الاستعجال في نقل الأخبار دون تحقق، لما فيه من خطر إصابة الأبرياء بالباطل.
3. الخوف من الندم لاحقًا بسبب العجلة وعدم التثبت.
4. ليس كل خبر مقبولًا ولو من عدل، ما لم تُدرس الملابسات وتُراعَ القرائن.

5. ضرورة إحالة الأخبار المهمة إلى أهل العلم والعقل والدراية (أولو الأمر).

6. الشائعات سلاح خطير يهدم المجتمعات ويهز الثقة بين أفرادها.

7. عاقبة الإشاعة تكون ندمًا وأذى ومفسدة عامة، وقد تصل إلى الفجور والفسق.

8. وجوب حسن الظن بالمؤمنين عند سماع الإشاعات وعدم التسرع بالخوض فيها.

9. نقل الأخبار دون بينة أو شهادة يعد من الكذب المحرم شرعًا.

10. لا يجوز نشر الإشاعة ولو كانت صحيحة إن ترتب عليها أذى أو فتنة.

11. من وسائل العلاج: حسن الظن، طلب الدليل، عدم الخوض، رد الأمر لأهله.

12. حادثة الإفك نموذج قرآني خالد لحسن التعامل مع الأخبار الكاذبة.

13. الإسلام سبق الأنظمة المعاصرة في التحذير من الأخبار الكاذبة وأسس قواعد لنشر المعلومة بمسؤولية.

****

الفصل الثالث

"واعلموا أن فيكم رسول الله"

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: 7-8]

الفصل الثالث

"واعلموا أن فيكم رسول الله "

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: 7]

(واعلموا أن فيكم رسول الله) أي واعلموا يا صحابة رسول الله أن فيكم رسول الله فصدقوه ولا تكذبوه، وعظموه ووقروه، وتأدبوا معه وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بما فيه الخير لكم.

(واعلموا أن فيكم رسول الله)

كان هذا الخطاب لصحابته الكرام رضوان الله عليهم.... كان فيهم رسول الله يعلمهم ويرشدهم.... كان فيهم رسول الله يبلغ عن الله عز وجل رسالاته ، وقد جعله الله تعالى نورا ونبراسا ورحمة وهداية للعالمين، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنا نتساءل :

هل ما زال فينا رسول الله؟

نعم ما زال رسول الله باق بسنته، باق بما علمنا، باق بما بينه لنا كما قال صلى الله عليه وسلم: **(تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.)** (14)

معنى أشهد أن محمدا رسول الله :

المسلم الحق حينما يبلغه حديثا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن من لوازم الإيمان به صلى الله عليه وسلم أن تسمع لكلامه وكأنه هو بنفسه الذي يقوله لك ، وكأنك ترى رسول الله بعينيك يقول لك كذا وكذا. ...

وهذا معنى الشهادة؛ فأنت حينما تشهد في شيء يستدعي منك الحضور والرؤية ؛ فمعنى **(أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله)** اليقين

---

(14) رواه ابن ماجة وصححه الألباني ،والمحجة البيضاء : هي جادة الطريق.

بأنه لا معبود بحق إلا الله يقينا بلغ عندك المشاهدة والمعاينة ، وأن اليقين بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ عندك المشاهدة والمعاينة ، فلا توجد ذرة شك في أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

وسبق أن ذكرنا في أول السورة أنه من الأدب مع رسول الله حيا خفض الصوت عنده ، ومن الأدب بعد وفاته خفض الصوت عند سماع القرآن (عدم التشويش على القرآن) وعند استماعنا إلى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك عند جلوسنا بين يدي العلماء ورثة الأنبياء الذين يبلغون لنا وحي الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

فحينما يأتيك إن الله يأمر بكذا أو إن الله ينهى عن كذا أو من فعل كذا كان أجره كذا وكذا فلأنك تشهد أن محمدا رسول الله يجب عليك أن تصدق ما قال وأن تسمع وتطيع ؛ وهذا من الإيمان بالغيب ؛ والإيمان بالغيب أن تؤمن بما لم تره عينك، فتؤمن وتوقن بأن ما وعد الله به وعدا حقا وأن ما وعدنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا.

إذن فلا يعني طول الزمان والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن وحي الله قد انتهى وانقطعت صلتنا به ، كلا فإنه صلى الله عليه وسلم باق فينا بأخلاقه العظيمة، وباق فينا لأنه قدوتنا، والقدوة لا تموت بموت صاحبها إنما باقية ببقاء منهجه وهو دين الحق الذي جاء به ويدين به أكثر من مليار وسبعمائة مليون مسلم.

(لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) العنت: الوقوع في الأمر الشاق المؤلم، أي لشق عليكم ما تطلبونه من الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهذا له أمثلة كثيرة منها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بأصحابه في رمضان يصلي بهم صلاة القيام فانصرفوا وقد بقي من الليل ما بقي، وقالوا: يا رسول الله، لو نفلتنا بقية ليلتنا - يعني طلبوا منه أن يقوم بهم كل الليل - ولكنه صلى الله عليه وسلم قال لهم: «**من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيام ليلة**» أخرجه أبو داود والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ولم يوافقهم على طلبهم، لما في ذلك من العنت والمشقة، فقد كان رحيما بأمته كما وصفه الله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]

فالله تعالى يأمرنا – في كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم- دوما بما فيه خير لنا وصلاح لأمرنا، فلو قدمنا آراءنا وأقوالنا على قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم لاخترنا لأنفسنا الأشق والأصعب ،لذا فعلينا أن نقدم قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، ونطرح آراءنا وأقوالنا جانبا ، فالله أرحم بنا من أنفسنا ، ونبينا صلى الله عليه وسلم حريص علينا وبنا رؤوف رحيم .

الرد المبين على منكري سنة النبي الأمين

من أولى الحقائق الدالة على صدق محبتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصدقه في كل ما جاء به، ومما يؤسف له في أيامنا تلك انتشار ظاهرة إنكار حجية السنة من مسلمين يشهدون معنا الصلاة ، ويقول قائلهم: علينا أن نأخذ بالقرآن فقط!!! وهذا مؤشر خطير.

لماذا مؤشر خطير؟

لأن إنكار السنة تكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن الذي جاءنا بالقرآن؟

إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف نصدقه في القرآن ولا نصدقه في السنة؟

أقول لهذا الرجل: أتشهد أن لا إله إلا الله؟ نعم، أشهد أن لا إله إلا الله.

من الذي علمك أن تشهد أن لا إله إلا الله؟

إنه محمد رسول الله، فكيف قبلت الشهادة بالتوحيد ورددت على من جاءك بها ما أخبرك به وحياً عن ربه جل وعلا؟

ولذلك أقول : أريد منك كمسلم أن تدرك بوضوح تام، ما هو شكل الدين بدون السنة؟ سنقبل قولكم أننا لن نأخذ من السنة شيئاً، فما هو شكل الدين بدون السنة؟

من أين لكم العلم بالصلوات الخمس؟ هل ورد في القرآن مواقيت الصلاة وعدد ركعات الصلاة وكيفية الصلاة؟ لم يرد شيء في القرآن، فالسنة شرحت ما أجمل في القرآن بقول الله تعالى: **(وأقيموا الصلاة)**[البقرة :43]

كيف عرفتم أنصبة الزكاة وأن هناك زكاة تسمى زكاة المال (الذهب والفضة)، وهناك زكاة التجارة، وزكاة الثروة الحيوانية، والثروة الزراعية، هذه نصابها كذا، مقدار الزكاة كذا، هذه التفاصيل من أين جئنا بها؟ من السنة.

الحج ومناسك الحج، من أين عرفنا مسألة الإحرام من الميقات، الميقات الزماني والمكاني، الطواف بالبيت سبعاً، السعي بين الصفا والمروة سبعاً، الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة، رمي الجمار في اليوم الأول من أيام العيد سبع جمار، ثم إلى آخره إلى آخره، من أين علمنا بهذه التفاصيل؟

أنتم تريدون ديناً غير هذا الدين الذي نعرفه!!!

ولذلك هذا الأمر إن كان البعض يردده بجهل، نقول له إن ما تفعله إنما هو خروج من الدين والعياذ بالله، لأن الله سبحانه وتعالى كما أوحى لنبينا بالقرآن أوحى إليه بالسنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، وإن ما حرم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما حرم الله) ، فقوله: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)** يقصد السنة، والمثلية هنا يقصد بها الحجية، حجية السنة كما حجية القرآن.

فإذا ورد أمر أو نهي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو تماماً كما ورد في القرآن، طبعاً مع الاختلاف في رتبة الحكم الشرعي، لكن أقصد الحجية، أن هذا كلام أنت كمكلف مخاطب به، وهذا مصداق قول الله عز وجل: **(وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) [المائدة:92] و(من يطع الرسول فقد أطاع الله)[النساء 80]، و(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[الحشر :7]**

فكما جاء النبي بكلام الله عز وجل القرآن، فقد جاء بالسنة، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه بالسنة كما يوحى إليه بالقرآن، إلا أن القرآن نزل نصاً من الله فبلغه لنا رسول الله كما نزل عليه به جبريل، أما السنة فقد بلغها لنا رسول الله بلفظه هو.

إذن، فاللفظ القرآني لفظ مقدس ليس فيه أي شك، أما اللفظ النبوي فهو لفظ رواه لنا رسول الله بوحي أوحاه الله تعالى إلى نبينا وعبر عنه بلفظه.

فمثلا لو أني أحملك رسالة: قل لفلان كذا وكذا وكذا، أنت لا تحتاج إلى أن تكتب نصاً تتلوه، إنما فهمت فحوى الرسالة فتعبر عنها بلسانك.

فالرسول علمه الله عز وجل **(وعلمك ما لم تكن تعلم)**[النساء 113] فلما علمه السنة أخبرنا بها صلوات ربي وسلامه عليه.

وهناك أسئلة عديدة، النبي سئل عنها كان يتوقف فيها حتى يسأل جبريل، فقد ثبت أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! أي البلاد أحب الله؟ وأي البلدان أبغض إلى الله؟ -والبلاد هنا بمعنى: المواطن والأماكن- **فقال: (لا أدري حتى أسأل جبريل، فأتاه جبريل فأخبره أن أحب البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق).**

كان الرسول يستطيع أن يجيب اجتهاداً مثلاً، كلا، فإنه **(وما ينطق عن الهوى)**[النجم: 3] فلما جاءه جبريل أخبر بالإجابة.

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأجلين قضى موسى في قصة المرأتين في مدين، الرجل الصالح خيره أن يتزوج إحدى بناته ومهرها أن يكون أجيراً على الغنم ورعاية الغنم ثماني حجج أو سنوات ، قال: فإن أتممت عشراً فمن عندك، **قال: يا رسول الله، أي الأجلين قضى موسى؟ إما عشر وإما ثمانية، لن يخطئ أحدهما، قال: حتى أسأل جبريل، فلما سأل جبريل قال: حتى أسأل رب العزة، ثم قال بعد أن علم الجواب: قضى أتمهما وأكملهما.**

إذاً هناك أمور لم يكن النبي يفتي بها من رأسه أو من عند نفسه، إنما كان ينتظر الوحي لأنه لم يؤذن له بأن يتكلم فيها، أوليس عنده علم في هذه المسألة.

وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص من شباب الصحابة الأكابر، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشرٌ يتكلَّم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: (اكتب؛ فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق)

إذاً فالسنة وحي من الله كما أن القرآن وحي من الله، وإن تفاوتت الرتبة في الثبوت، القرآن ثبوت قطعي متواتر، أما السنة فلها ما يعرف بسلسلة السند، وهذا هو موضع الشبهة التي يرددونها، يقولون: كم بيننا وبين رسول الله؟

ألف وأربعمائة سنة وكذا وكذا، طيب كيف لنا أن نعرف أن هذا هو الحديث الذي قاله رسول الله؟

الرد على شبهة متى ولد البخاري؟

يقولون : ولد البخاري سنة 194 هجرية، فكيف يروي البخاري هذا الكلام على أنه كلام رسول الله وبينه وبين النبي قرابة 200 سنة؟

ويغيب عن هذا الجاهل المفتون أن هناك شيئاً تميزت به هذه الأمة اسمه **(السند)** السند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالحديث قاله رسول الله، سمعه منه الصحابة، فنقل الصحابة الحديث إلى أمثالهم من الصحابة والتابعين، والتابعون نقلوا الحديث إلى من بعدهم، ومن بعدهم.... وهكذا.

هل تعلمون أن الإمام البخاري في بعض الأحاديث، بينه وبين رسول الله ثلاثة فقط؟ هذه من أعلى الأسانيد، والعلماء اصطلحوا على تسميتها بـ

(السلسلة الذهبية)

فالبخاري يقول: حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله في سند متصل، هذا السند المتصل كالسلسلة، حلقة تمسك بحلقة، ولذلك البخاري تميز بأنه اشترط أعلى درجات الصحة في الأحاديث التي ضمها في كتابه.

لماذا الهجوم على البخاري؟ ولماذا البخاري أغاظهم إلى هذا الحد؟

لأن البخاري هو القمة، فلو أفلحوا في هدم البخاري فما دونه أسهل، يعني ما سمعتهم مرة يتكلمون عن الترمذي أو أبي داود أو ابن ماجه، مع احترامنا طبعاً لكل علمائنا، لكن أقصد الهجوم كله على البخاري، لماذا؟ حتى يصلوا إلى تحطيم الرمزية الكبيرة لصحيح البخاري في نفوس المسلمين، لدرجة أن العامة من المسلمين إذا حدث بينه وبين أحد رأيا أو شيئا يقول: (هل غلطنا في البخاري)، لأنهم يعلمون ما معنى البخاري وأنه اصطلح العلماء على تسميته بأنه أصح الكتب بعد كتاب الله، لماذا؟

لأن الإمام البخاري وضع أعلى درجات الضبط، لا يروي حديثاً عن رسول الله في صحيحه إلا إذا اتصل سنده من أول البخاري إلى رسول الله،

فالبخاري يروي عن الراوي الذي روى عن التابعي، والتابعي روى عن الصحابي، والصحابي روى عن رسول الله مباشرة، أي انقطاع في السلسلة لا يقبله البخاري، وهذا يسمى من أمثلة الحديث الضعيف عند العلماء ولا يؤخذ به في الحلال والحرام، إنما يعمل به في الفضائل.

ما الفرق بين الإمام البخاري والإمام مسلم:

اشترط الإمام البخاري، وهذا ما تميز به عن مسلم، أن يثبت معاصرة الراوي لمن روى عنه واللقاء، الاثنين التقوا، الإمام مسلم كان يكتفي بالمعاصرة، يعني أن الاثنين في زمن واحد، يعني البخاري يروي مثلاً عن واحد من أهل مكة، وشيخه لم ينزل مكة، فلا يقبل البخاري هذا، لابد أن الاثنين يثبت لقياهم بمكة، أو يثبت لقياهم بالمدينة، أما إذا لم تثبت اللقيا، فالإمام البخاري لا يضع الحديث في صحيحه، وبقي رحمة الله عليه 16 سنة يجمع هذا الصحيح، 16 سنة يجوب البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، يسمع لحديث رسول الله وينتخب مما سمع أعلى درجات الصحة، عدد الأحاديث في صحيح البخاري 7,275 حديثاً، وبحذف المكرر تصل لأربعة آلاف حديث.

وقال إنه يحفظ من الضعيف والمكذوب أضعاف أضعافها، ....ثم يأتي قزم نكرة ويقول لك: وهل البخاري سمع الرسول؟

سمع من سمع من الرسول ونقل عمن نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

خلاصة الأمر:

1. أي مسلم لابد وأن يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أوحي إليه بالقرآن فقد أوحي إليه بالسنة.
2. سنة رسول الله فيما صح عن رسول الله يجب العمل بها، لأن هذا من تمام طاعة الله جل وعلا، (من يطع الرسول فقد أطاع الله)
3. العلماء لما نقلوا لنا سنة رسول الله نقلوها بالسند المتصل إلى رسول الله، ليس هناك خبط عشواء ولا تأليف ولا أكاذيب إنما هذا بالسند المتصل، فجردوا أنفسهم لله حتى وصل إلينا العلم ووصل إلينا الدين والحديث كما نراه الآن.
4. الهدف من الهجمة على الإمام البخاري وتسفيهه وتخطئته والجرأة عليه إنما هو تحطيم أعلى رأس، وأول سد من سدود السنة، لأن ما

بعده أسهل وأيسر في ظنهم، ونسي هؤلاء أن هذا دين الله، وأن هذا رسول الله، وأن هذه الأمة باقية بأمر الله، وأنه يوم أن تخلو الأرض من هذه الأمة فاعلم أن الساعة بين عشية وضحاها، هذا ما قاله **رسول الله: "لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض أحد يقول: الله، الله"**

أهم ما يُستفاد من الآية الكريمة

1. وجوب تصديق النبي وتعظيمه وتوقيره.
2. الرسول مصدر للهداية والرحمة في حياته وبعد وفاته.
3. السنة النبوية باقية ومصدر من مصادر التشريع.
4. الشهادة بأن محمداً رسول الله تعني السمع والطاعة المطلقة.
5. الإيمان يقتضي التسليم والانقياد لأوامر الله ورسوله.
6. تقديم الآراء الشخصية على النصوص الشرعية يؤدي إلى المشقة والعنت.
7. النبي لا ينطق عن الهوى بل يبلغ وحي الله.
8. السنة النبوية وحي يجب العمل بها مثل القرآن.
9. السنة مفسرة ومبينة لما أجمل في القرآن.
10. إنكار السنة تكذيب للرسول وخروج عن الدين.
11. العلماء نقلوا السنة بالسند المتصل بدقة وأمانة.
12. الطعن في صحيح البخاري محاولة لهدم السنة من أصلها.
13. السند المتصل ميزة فريدة لأمة الإسلام في نقل الدين.

14.الدفاع عن السنة ورد الشبهات واجب شرعي.

اللهم اجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين،

اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك،

وارزقنا اللهم حب نبيك وحب سنته، والموت على ملته،

وانفعنا يوم القيامة بشفاعته، واحشرنا إلى الجنة في زمرته،

اللهم كما آمنا به ولم نره، فلا تفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مدخله

مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

اللهم آمين

****

الفصل الرابع

حلاوة الإيمان ومرارة العصيان

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: 7-8]

الفصل الرابع
حلاوة الإيمان ومرارة العصيان

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَـٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: 7-8]

والمعنى : أنكم تطيعونه – أي الرسول عليه الصلاة والسلام – فيما يخالفكم فيه؛ لأن الله حبب إليكم الإيمان فلذلك تقدمون طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما يخالفكم فيه.

(الإيمان) يدخل في مسمى الإيمان : كل الأعمال الصالحة، يعني: حبب إليكم الصلوات والصدقات والأذكار والأدعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتفكر في آيات الله تعالى، والإحسان إلى عباد الله، والنصيحة للمؤمنين.

(وزينه في قلوبكم) الإنسان قد يحب الشيء ولكنه مكروه لديه، من حيث تحقيق المصلحة يحبه، ولكن من حيث عين الموضوع هو يكرهه.

المريض مثلا: يجد الدواء مرا لكنه يتناوله؛ لأن وراءه الشفاء بإذن الله، فهو قد يتناول هذا الشيء ولكنه يكره ذاته .

فجمع الله هنا بين حبب وزين، فهو محبب لنتائجه الحسنة، ومزين عند الإنسان يأخذه برغبة وطواعية ومحبة، وفرق بعيد بين الأمرين، ولهذا كان (زينه) تتمة (لحببه) ليكون الأخذ بهذا المحبب برغبة واختيار لا عن إكراه.

(وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) كره إليكم الكفر مقابل الإيمان، والفسوق مقابل الاستقامة ، والعصيان مقابل الإذعان.

وهذا تدرج من الأعلى إلى الأدنى : فالكفر أعظم من الفسق، والفسق أعظم من العصيان.؟

(الكفر) هو الخروج من الإسلام بالكلية.

(الفسق) الأصل فيه الخروج؛ يقولون: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها، وكل شيء خرج عن طبعه فإنه فسوق، ويسمى العصاة: فاسقين، والمعاصي فسوقا، فهو دون الكفر، لكنه فعل كبيرة، مثل أن يفعل الإنسان كبيرة من الكبائر ولم يتب منها، كالزنا، وشرب الخمر .

(العصيان) هو الصغائر التي تكفر بالأعمال الصالحة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر)** رواه مسلم

(أولئك هم الراشدون) يعني الذين سلكوا طريق الرشد وهو الاستقامة على دين الله – عز وجل – هم الراشدون.

(فضلا من الله) أي تفضلا منه، وليس بكسبكم، ولكنه من الله – عز وجل –

فمن علم الله منه حسن النية، والقصد والإخلاص حبب إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، ومن لم يعلم الله منه ذلك فإن الله تعالى يقول: ﴿ **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [الصف: 5] ويقول الله – عز وجل -: ﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ**﴾ [المائدة: 49]

فالذنوب سبب للمخالفة والعصيان، فهؤلاء الذين تفضل الله عليهم وأنعم عليهم نعمة الدين هم الذين وفقوا للحق .

(والله عليم) عليم بما في خزائنه من واسع فضله، فيتفضل بما شاء.

(حكيم) لما يختار من عباده من يعطيه نعمه، فيعطي كل إنسان من نعمه سبحانه ما يلائم حاله، فهو سبحانه وتعالى يعطي كل إنسان بحكمة فيما تكون فيه مصلحته.

حلاوة الإيمان ومرارة العصيان

حلاوة الإيمان هي : استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق في سبيل الله .

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم لها علامات من تحققت فيه فقد ذاق حلاوة الإيمان :

ففي الصحيحين عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان:أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار)

وعن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا. أخرجه أحمد

وعن المغيرة بن شعبة: (قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ورمت قدماه ، قالوا : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبدا شكورا.) أخرجه البخاري

إن لذة الطاعة لا تعادلها لذة وحلاوة الإيمان لا تعادلها حلاوة وعز الطاعة لا يعادله عز ، كما أن مرارة المعصية لا تعادلها مرارة وشؤم الذنب لا يعادله شؤم ، وذل المعصية لا يعادله ذل.

وحب الطاعة هو أن تحب طاعة الله تعالى وتستمتع بها، وتشعر بالطمأنينة والهدوء فيها؛ كالنبي صلى الله عليه وسلم، حينما قال: **(وجعلت قرة عيني في الصلاة) وكان يقول لبلال: (أقم الصلاة يا بلال، أرحنا بها)**

والمسلم عندما يذوق حلاوة الإيمان، تراه ينشط للطاعة ويسارع بالخيرات ، وينشرح صدره لها ، يرفع شعار **(وعجلت إليك رب لترضى)** فلا تجده كسولا ولا مكرها على طاعة ولا يتعلق بالأماني الكاذبة فلسان حاله **(إذا عرف الآمر سهلت الأوامر).**

مثلا: لو أن شخصا فتح محلا تجاريا ، في اليوم الأول، باع بعشرة آلاف، هذا، في اليوم الثاني لن يغيب أبدا !!! بل يأتي باكرا، أول من يفتح محله، لأنه ذاق المكسب الكبير وحلاوته ، هذا الذي ذاقه من الربح الوفير حمله على المتابعة.

أما إذا فتح المحل ولم يجد مشتر، ففي اليوم الثاني يقول: أنا متعب، ولا يهمه المحل، فتح أو لم يفتح، يقول: لا يوجد شغل، السوق بارد!!

فالإنسان إذا لم يذق الطعم لا يتابع، ومن علامة الذي يذوق حلاوة الإيمان أنه يتابع، وكل إنسان يقوم إلى الصلاة كسلانا ويؤدي العبادات بتثاقل، فهذا إنسان ما ذاق حلاوة الإيمان، لأن حلاوة الإيمان تعطيك قوة عجيبة، تنسى بها كل تعب ونصب .

وحلاوة الإيمان لا يحسها ولا يعايشها أي أحد ، كما أنها لا تباع ولا تستجدى ، يقول أحدهم من شدة سروره بتلك النعمة : **لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه – يعني من السعادة – لجالدونا (لقاتلونا) عليه بالسيوف.**

وقال بعض العارفين: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها. قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره .

وقال ثابت البناني: كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة.

وقال بعضهم: سقت نفسي إلى الله وهي تبكي، فمازلت أسوقها حتى انساقت إليه وهي تضحك .

وكان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يصلي من الليل فإذا أصابه فتور أو كسل قال لنفسه : أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يسبقونا عليه ، والله لأزاحمنهم عليه ، حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا !! ثم يصلي إلى الفجر .

وكان عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله يفرش له فراشه لينام عليه بالليل ، فكان يضع يده على الفراش فيتحسسه ثم يقول : ما ألينك ولكن!!! فراش الجنة ألين منك ثم يقوم إلى صلاته .

وروي أن لصا دخل بيت مالك بن دينار فما وجد شيئا فجاء ليخرج فناداه مالك: سلام عليكم، فقال: وعليك السلام، قال: ما حصل لكم شيء من الدنيا فترغب في شيء من الآخرة – قال: نعم، قال: توضأ من هذا الماء وصل ركعتين، ففعل ثم قال: يا سيدي أجلس إلى الصبح، قال: فلما خرج مالك إلى المسجد قال أصحابه: من هذا معك – قال: جاء يسرقنا فسرقناه.

وقال ابن القيم رحمه الله : إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فأفرح أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة.

فليتك تحلو والحياة مريرة * * * وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر * * * وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين * * * وكل الذي فوق التراب تراب

يقول ابن تيمية رحمه الله: فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره، إذ ليس في القلب السليم أحلى ولا أطيب ولا ألذ ولا أسر ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاص الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيبا إلى الله خائفا منه راغبا راهبا . (رسالة العبودية 6)

ولما دخل -رحمه الله- سجن القلعة وأغلق عليه الباب، برزت حلاوة الإيمان فتمثل الآية : (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) ثم قال ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أنى رحت فهي معي لا تفارقني، حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، إنها جنة الإيمان، المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه، والله لو بذلت ملء القلعة ذهبا ما عدل ذلك عندي شكر نعمة الحبس، وما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

ويقول تلميذه ابن القيم -رحمه الله-: وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والتنعم، وما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ومع ذلك فهو من أطيب الناس عيشا وأشرحهم صدرا، وأقواهم قلبا، وأسرهم نفسا، تلوح نظرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه؛ فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحا

وقوة وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

فحلاوة الإيمان تمنحك القوة والعزة وتيسر عليك كل يسير وتهون عليك كل صعب، وتجمل حياتك بالرضا الكامل عن الله .

كراهية المعصية{وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان }

من تحلى بسكينة الإيمان ألقى الله في قلبه كراهية المعاصي والذنوب، فبعد أن كانت المعاصي تسيطر على العبد، وتعرقل سيره إلى الله تعالى، فإن الإيمان حينما يعمر القلب يطرد منه التعلق بالمعاصي والآثام.

والمؤمن دوما يرى المعصية قطعة من عذاب النار، يراها خزيا في الدنيا وذلة، يراها كآبة وضيق صدر، يراها تبعده عن الله تعالى، بخلاف قليل الإيمان؛ فإنه يرى المعصية متعة ومكسبا له .

فالطاعة تورث القلب نورا وإشراقا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح كما أن المعاصي تورث ظلمة تظهر في الوجه والجوارح.

فإن للطاعة نورا كما قال ابن عباس (إن للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة سوادا في الوجه ، وظلمة في القلب ، ووهنا في البدن ، ونقصا في الرزق ، وبغضة في قلوب الخلق .)

فكم من شهوة ساعة أورثت ذلا طويلا، وكم من ذنب حرم قيام الليل سنين، وكم من نظرة حرمت صاحبها نور البصيرة، قيل لبعض السلف: أيجد لذة الطاعة من عصى؟ قال: ولا من هم .

فأعظم عقوبات المعاصي حرمان لذة الطاعات وإن غفل عنها المرء لقلة بصيرته وضعف إيمانه أو لفساد قلبه .

قال ابن الجوزي : "قال بعض أحبار بني إسرائيل : يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني ؟ فقيل له : كم أعاقبك وأنت لا تدري، أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟

وقال الشاعر :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه * * * هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته * * * إن المحب لمن يحب مطيع

وروي عن ذي النون المصري ؛ أنه قيل: له متى أحب ربي؟

قال: إذا كان ما يبغضه أمر عندك من الصبر.

يعني: إذا كانت المعاصي كريهة عندك؛ كل المعاصي؛ ولو كانت تهواها النفس؛ ولو كانت تميل إليها وتحبها؛ فإن علامة المؤمن أن يكره المعاصي، أن يكره الله إليه الفسوق والمعاصي؛ بحيث إنها تنفر منها نفسه.

والنفوس بطبعها تميل إلى بعض مشتهياتها؛ فتميل النفس ضعيفة الإيمان إلى محبة شرب الخمر والتلذذ بطعمه، وإلى محبة الزنا والتلذذ به وما أشبه ذلك .

ولكن إذا علم المؤمن بأن الله حرمه؛ فإنه ينفر منه، ويبتعد عنه، ويكرهه كراهة شديدة.

كما قال الشافعي –رحمه الله -:

أحب الصالحين ولست منهم ـــــ عسى أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي ـــــ وإن كنا سواء في البضاعة

ولهذا يوجد في المتبع لهواه من ذل القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما الله به عليم .

قال الحسن : إنهم وإن هملجت بهم البغال وطقطقت بهم البراذين (نوع من الخيول فارسية)، فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه .

وقال بعض العلماء : الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله .

وكان بعض السلف يقول : اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك .

لأن من أطاع الله تولاه الله ، ومن تولاه الله حفظه ولذلك في الحديث : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك .

وجاء أيضا في الحديث القدسي (قال تعالى : ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ...) .

قال ابن كثير في تفسيره : معنى الحديث : أن العبد إذا أخلص الطاعة ، صارت أفعاله كلها لله عز وجل ، فلا يسمع إلا لله ، ولا يبصر إلا لله ، أي ما شرعه الله له ، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة الله ، مستعينا بالله في ذلك كله .

وقال أبو سليمان الداراني : ليس العجب ممن لم يجد لذة الطاعة إنما العجب ممن وجد لذتها ثم تركها كيف صبر عنها .

وقال سفيان الثوري رحمه الله : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بسبب ذنب أذنبته .

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله : يا أبا سعيد : إني أبيت معافى وأحب قيام الليل ، وأعد طهوري فما بالي لا أقوم ؟!! فقال الحسن : ذنوبك قيدتك !!.

وقال رجل للحسن البصري : أعياني قيام الليل ؟!! فقال : قيدتك خطاياك .

وقال الشاعر :

رأيت الذنوب تميت القلوب * * * وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب * * * وخير لنفسك عصيانها

قال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله : إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء؟!! فقال : لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه في الليل ، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف .

وقال أبو الدرداء : إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى ، فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر.

لماذا لا أجد حلاوة الإيمان ؟

يقول البعض أنا أصلي ولكن لا أجد حلاوة الصلاة وأصوم ولا أجد حلاوة الصوم؛ فأين هذه الحلاوة التي تتحدثون عنها؟

إن في العبادة لذة إذا لم تجدها في نفسك ، فاعرف أن هناك خلل !!!

إما أنك لم تخلصها لوجه الله وأنت لا تدري ...!

أو أن هناك ذنوب لم تتخلص منها عكرت طعم العبادة ، فصرت لا تحس بحلاوة الإيمان، فأنت كمثل المريض الذي يوضع عنده الطعام الشهي مع ذلك لا يتلذذ ولا يجد حلاوة له !!!

قال ابن تيمية : إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحا فاتهمه ، فإن الرب تعالى شكور .

يعني أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا؛ من حلاوة يجدها في قلبه .

فعليك ان تكشف على نفسك ما الذي يمنع الحلاوة أن تصل إلى قلبك؟!!!

ما هو المرض الذي في قلبك ..قد يكون مرض النفاق أو مرض الشبهات أو مرض الشهوات أو حب المعصية ، كبر ، حسد ،غل ....الخ من المعاصي ، فقد يكون أحد هذه الامراض مانعا ان تجد حلاوة الايمان!!

قال بعضهم لعثمان بن عفان رضي الله عنه : نقرأ القران ولا نجد له طعما.. قال: (والله لو سلمت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله)

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

أهم ما يستفاد من الآيات

1. أن حب الإيمان وزينته في القلوب منة من الله وفضل.
2. أن كراهية الكفر والفسوق والعصيان علامة على الرشد.
3. أن الإيمان يشمل القول والعمل ويثمر طاعة وانقيادا.
4. حلاوة الإيمان تظهر في محبة الله ورسوله ، وتقديمها على كل شيء.
5. أن من ذاق حلاوة الإيمان لا يعود إلى المعصية بسهولة.
6. أن الطاعات تورث لذة وطمأنينة والمعاصي تورث ضيقًا وذلًا.
7. أن عدم الشعور بحلاوة الطاعة سببه ضعف الإخلاص أو وجود الذنوب.
8. أن الطاعة برهان محبة صادقة لله تعالى.
9. أن تقديم أوامر الله ورسوله فيه الخير ودفع المشقة عن النفس.
10. أن من تذوق حلاوة الإيمان يسارع إلى الطاعة ويثبت عليها.
11. أن المعاصي تحرم الإنسان من نور القلب وحلاوة العبادة.
12. أن الذنوب قد تحرم العبد من قيام الليل وحب الطاعة.
13. أن المخلصين لله يجدون في عبادتهم لذة لا يعدلها شيء.
14. أن الإيمان الحق يجعل الإنسان يرى الطاعة راحة والمعصية كربًا.
15. أن الرشد الحقيقي هو اتباع الوحي والاستقامة على الدين.
16. أن الله عز وجل هو الموفق للطاعة وأن الفضل كله منه.

الفصل الخامس

الإصلاح بين المسلمين

قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 9-10]

الفصل الخامس

الإصلاح بين المسلمين

قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 9-10]

سبب النزول:

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي، فركب حمارا وانطلق معه المسلمون يمشون، فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال: إليك عني، فو الله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله، لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها نزلت فيهم: (وإن طائفتان.....)

مناسبة الآية لما قبلها :

لما نبه سبحانه وتعالى على وجوب التبين من نبأ الفاسق، فقد يأتي الفاسق إلى قوم بنبأ كاذب على قوم آخرين، فإذا سارعوا بتصديق نبأه سيقع القتال والفتنة، ولذا جاءت الآية الكريمة كأنها بيان لما عساه أن يقع بالمخالفة وعدم التبين والمسارعة بأخذ خبر الفاسق، فيقع مضرة على هؤلاء الناس، ويقع القتال بين الفريقين؛ فيكون هذا العلاج:

{ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** } فكأنه يقول: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا بسبب نبأ فاسق جاءهم فتداركوا الأمر، وأصلحوا بينهم، ولا تتركوهم على ما هم عليه، وإن كانوا فرطوا في عدم التثبت لا تفرطوا أنتم في عدم الإصلاح، وهذا ترتيب في غاية الإعجاز.

﴿ **وإن طائفتان** ﴾ يعني: فرقتان من المؤمنين.[15]

﴿ **اقتتلوا** ﴾ أي: حصل بينهم ما يسبب القتال، أو الاختلاف المؤدي إلى الاقتتال.[16]

وهذا في أي خلاف خيف أنه يقع منه غير القتال؛ كالمقاطعة والفجور بالخصومة والتباغض والسباب ونحو ذلك؛ فعلى البقية أن يسعوا في الإصلاح بينهم .

ولهذا قال: **(فأصلحوا بينهما)** والصلح هو السعي في المؤاخاة ، وإزالة ما بينهما من العداوة، والحرص على تأليف القلوب فيما بينهم، وجمعها، وإزالة العداوة والشحناء والقطيعة.

﴿ **فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله** ﴾ إذا قدر أن إحداهما امتنعت من الصلح، قالت: لا نقبل، ولا بد أننا نقاتلهم ؛ فإنهم اعتدوا علينا وظلمونا ؛ فلا نرضى بل لا بد أن نقاتلهم، أو ما أشبه ذلك.

﴿ **فقاتلوا التي تبغي** ﴾ البغي هو التعدي، ومجاوزة الحد.

فهؤلاء هم الذين يقاتلون؛ يقاتلهم بقية المؤمنين حتى يرجعوا ﴿ **حتى تفيء إلى أمر الله** ﴾ يعني حتى ترجع هذه الطائفة الممتنعة.

﴿ **فإن فاءت** ﴾ ورجعت فعند ذلك أصلحوا بينهما .

وأصل الفيئة الرجوع، أخذت من الفيء وهو الظل في آخر النهار؛ لأن الظل في أول النهار يكون إلى جهة الغرب لمجيء الشمس من الشرق، فإذا جاءت إلى كبد السماء وتحولت إلى المغرب تحول الظل إلى الشرق، وهذا هو الفيء، فكذلك من كان على طريق فرجع عنه إلى عكسه فقد فاء.

---

[15] والتعبير «بإن» للإشعار بأنه لا يصح أن يقع قتال بين المؤمنين، فإن وقع على سبيل الندرة، فعلى المسلمين أن يعملوا بكل وسيلة على إزالته. «التفسير الوسيط لطنطاوي» (13/ 308)

[16] وجاء «اقتتلوا» بلفظ الجمع، لأن لفظ الطائفة وإن كان مفردا في اللفظ إلا أنه جمع في المعنى، فروعي فيه المعنى هنا. وروعي فيه اللفظ في قوله بينهما. قالوا: والنكتة في ذلك أنهم في حال القتال يكونون مختلطين فلذا جاء الأسلوب بصيغة الجمع، وفي حال الصلح يكونون متميزين متفرقين فلذا جاء الأسلوب بصيغة التثنية. «التفسير الوسيط لطنطاوي» (13/ 309)

فإن فاءت عن الغي وفاءت عن الاعتداء حينئذ:

{ **فأصلحوا بينهما بالعدل** } لا تميلوا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

﴿ **وأقسطوا** ﴾ والقسط أيضا: هو المساواة.

﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ ولو تقاتلوا فلا يخرجهم تقاتلهم عن كونهم مؤمنين؛ فهم إخوة لكم جميعا؛ والأخوة هاهنا الأخوة الإيمانية.

ونلاحظ هنا كلمة (**إنما**) في الآية الكريمة، فهي (أداة حصر) أي أن الله عز وجل يخبرنا بأنه: **لا أخوة حقيقية إلا أخوة الإيمان والإسلام**، وعلاقة الأخوة بين المؤمنين أقوى من علاقة النسب، تضعف بضعف إيمانهم، وتقوى بقوة هذا الإيمان! ويقوى الإيمان بقوتها، ويضعف بضعفها!

﴿ **فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ جعل هؤلاء إخوانكم، وهؤلاء إخوانكم؛ مع أنهم يتقاتلون فيما بينهم؛ فلم تخرجهم هذه المقاتلة عن كونهم إخوة؛ فهم إخوتكم يعني هؤلاء وهؤلاء، وكذلك بعضهم إخوة بعض.

(**أخويكم** } مثنى أخ ولم يقل بين إخوانكم؛ لأن هذه الطائفة كالجسد الواحد كأنها إنسان واحد وهذه الطائفة المعادية التي تقاتلها كذلك كالإنسان الواحد فأنت كأنك تصلح بين أخوين

{ **واتقوا الله لعلكم ترحمون** } فرحمة الله عز وجل إنما تنال بالاتفاق وبالألفة وبالأخوة وبالاجتماع.

الصلح بين المسلمين

حتمية الخلاف

تقع الخلافات بين الناس ويحدث الخصام بين جميع فئات المجتمع بين الرجل وزوجته، وبين القريب وقريبه ، وبين الجار وجاره، وبين الشريك وشريكه ، وهذا أمر طبيعي ، وحتمي، ومشاهد، لا يمكن إنكاره، وأسبابه كثيرة لا حصر لها .

وغالبا ما تكون هذه الخلافات في بداياتها اختلاف بسيط يمكن تلافيه لو أحسن الناس التصرف ولكن الشيطان الذي قال الله عنه: **(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم) [الإسراء:52]**

وكما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم) رواه مسلم

هذا الشيطان لن يدع هذه الفرصة تفوت عليه ولن يتوانى هو وأعوانه – النفس الأمارة بالسوء والهوى المتبع وأهل الإفساد والشر والنميمة – في التحريش بينهم وإذكاء نار العداوة والبغضاء حتى تتحول هذه الشرارة إلى فتنة عظيمة وشر مستطير لها عواقبها الوخيمة ؛ فيساء الظن ويقع الإثم وتحل القطيعة ويفرق الشمل وتهتك الأعراض وتسفك الدماء وتنتهك الحرمات.

أصدقاء الأمس أعداء اليوم

ويتحول الحال ؛ فبعد المحبة والصفاء تحل العداوة والبغضاء وبعد القرب والوصال تكون القطيعة والهجران ويصبح أصدقاء الأمس أعداء اليوم ، ويفسد ذات بينهم وتقع الحالقة التي لا تحلق الشعر ولكنها تحلق الدين كما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أهمية إصلاح ذات البين:

وحيث حرص الإسلام على وحدة المسلمين وأكد على أخوتهم وأمر بكل ما فيه تأليف لقلوبهم ونهى عن كل أسباب العداوة والبغضاء فقد أمر بالسعي وإصلاح ذات البين وحث عليه وجعل درجته أفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة ، وقد ورد في ذلك عدة آيات وأحاديث منها :

قال تعالى : (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) الحجرات 10 .

وقال تعالى : (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما). النساء: 114

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى ، قال : إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة) رواه أبو داود ، وللترمذي (لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) .

ويقول صلى الله عليه وسلم : (كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الاثنين صدقة) أي تصلح بينهما بالعدل · أخرجه البخاري ومسلم .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفضل الصدقة إصلاح ذات البين) صححه الألباني .

تعريف الإصلاح بين الناس

هو السعي والتوسط بين المتخاصمين لأجل رفع الخصومة والاختلاف عن طريق التراضي والمسالمة تجنبا لحدوث البغضاء والتشاحن وإيراث الضغائن .

نية المسلم عند التدخل للإصلاح

1 – طلب الأجر والثواب من الله تعالى قال تعالى : **(لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما)** النساء: 114.

2- تحقيق مفهوم الأخوة قال تعالى : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ....)** آل عمران: 103 .

3 – الحرص على تماسك المجتمع ، وبث الألفة ، والرحمة ، والتسامح بين أفراد المجتمع المسلم ·

آداب وصفات المصلح

1.. ألا يشترط في الصلح شرطا مخالفا لشرع الله فان كان مخالفا لحكم الله فانه لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم: **(أيما شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان مئة شرط) رواه البخاري.**

2.ولا يتضمن شيئا محرما كأن يكون تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما)** حديث حسن صحيح رواه أبو داود والترمذي .

3. أن يكون الصلح بتراض من الجانبين المتخاصمين لقوله صلى الله عليه وسلم : **(لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه).**

4.أن يستشعر أنها عبادة يقوم بها استجابة لأمر الله، وإقامة للعدل والقسط.

5.أن يكون ذا خلق ودين متصفا بالأخلاق الكريمة والعدالة والمروءة.

6.أن يتحلى بالحلم وسعة البال والصبر والتأني وعدم العجلة.

7. أن يكون ذا علم شرعي عالم بما يحل ويحرم والشروط والأحكام خاصة في مجال الخصومة.

8.أن يكون خبيرا في مجال النزاع عالما بالوقائع محيطا بالقضية وملابساتها باحثا عن مسبباتها عارفا بطرق معالجة المشكلات ووضع الحلول والتسويات العادلة المقترحة سواء كانت في مجال المشاكل الزوجية أو العقار أو الديون .

9.استعمال الحكمة والأسلوب الحسن ، والبعد عن العبارات الجارحة.

10.أن يكون محايدا فيحرص على أن ينظر إليه الطرفان بوصفه شخص محايد لا يميل مع أيهما .

11.**جواز الكذب لأجل الإصلاح :**أذن الشارع للمصلح بنوع من الكذب في العبارات وفي الأمور التي توفق وتقرب وتخفف من شدة العداوة وتحببهم إلى بعض قال صلى الله عليه وسلم **(ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا)** رواه البخاري .

ومن أمثلة ذلك أن يحاول المصلح تبرير أعمال كل من المتخاصمين وأقوالهما بما يحقق التقارب ، ويزيل أسباب الشقاق والخلاف ، وأحيانا ينفي بعض أقوالهما السيئة فيما بينهما ، وينسب إلى كل منهما من الأقوال الحسنة في حق صاحبه مما لم يقله مثل أن يقول : فلان يسلم عليك ويحبك ، ويقول فيك خيرا ونحو ذلك .

12- في كل الخطوات على المصلح دائما بالوعظ والنصيحة وتذكير الخصوم بالعاقبة :فيذكرهم بعاقبة الخصومة، وما تجلبه من الشقاق، وتوارث العداوات، واشتغال القلوب، وغفلتها عن مصالحها ، ويذكرهم كذلك بالعاقبة الحميدة للصلح في الدنيا والآخرة، ويسوق لهم الآثار الواردة في ذلك كقوله تعالى – : **(وأن تعفوا أقرب للتقوى)** [البقرة: 237]وكقوله : **(والعافين عن الناس)** [آل عمران: 134] وكقوله : **(فمن عفا وأصلح فأجره على الله)** [الشورى: 40]

13- وعلي المصلح أن يحسن الاستماع :لأن كل طرف من الأطراف يزعم أنه على حق ، وأن صاحبه على باطل ؛ فيحتاج كل واحد منهما إلى من يستمع إليه ، ويرفق به ، ويأخذ ويعطي معه .

14- **ضرورة معرفة الأسباب الحقيقية للخصام :**فان استطاع أن يعرفها ويعالجها بشكل يرضي الطرفين كان ما بقي سهل وتضمن بذلك أن يدوم الصلح بينهما .

15- الاستعانة بمن يفيد ويرغب في إنهاء النزاع ، ويراعى في ذلك أن يكون أولئك من ذوي الرأي والبصيرة والحكمة خاصة من عرف حرصه ورغبته في الإصلاح، وحسنت نيتهم وصدق حالهم.

16- الرفع من قيمة الخصم ، أنت من عائلة كريمة وما نسمع عنكم إلا كل خير ...أنت رجل تحفظ القرآن ، أنت رجل حججت بيت الله ....الخ

17- يفضل توثيق عقد الصلح بالكتابة والإشهاد عليه ليكون وثيقة يرجع إليه الطرفان عند التنازع أو الاختلاف.

18- **التأكيد على أطراف الخصومة بعدم التحدث** بما حصل من الخصومة، وكذلك ألا يغتاب خصمه أو يسبه أو يشتمه في حضوره أو غيابه.

نسأل الله أن يصلح ذات بيننا،

وأن يؤلف بين قلوبنا ،

وألا يجعل للشيطان حظا بيننا ،

اللهم آمين

****

الفصل السادس

النهي عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11]

الفصل السادس

النهي عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11]

مناسبة الآية لما قبلها :

لما ذكر الله تعالى في الآية السابقة : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ بين أن لهذه الأخوة حقوق وواجبات ، فإذا كان المؤمنون إخوة فإنهم يجب عليهم أن يتحابوا وأن يتآلفوا ، ولا يجوز لهم التقاطع ، ولا إضرار بعضهم لبعض، بالسخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب وسوء الظن والغيبة .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم**) السخرية: هي الاستهزاء الذي يقصد به التنقص.

﴿ **عسى أن يكونوا خيرا منهم** ﴾ هؤلاء الذين تهزؤون بهم عسى أن يكونوا خيرا منكم عند الله تعالى وعند عباده .

﴿ **ولا نساء من نساء** ﴾ يعني: ولا يسخر نساء من نساء.

﴿ **عسى أن يكن خيرا منهن** ﴾ وخصت النساء بالذكر لأن السخرية في النساء بعضهن من بعض أكثر من سخرية الرجال بعضهم من بعض بسبب الغيرة، فالله عز وجل خصهن بالذكر لما ينتشر بينهن من الغيرة والسخرية لبعضهن .

فالمعنى ولا يسخر نساء من نساء سواء كان بسبب جمالها أو بسبب مالها أو شرفها أو حسبها أو بأي سبب من الأسباب الأخرى **(عسى أن يكن خيرا منهن)**

السر في قوله تعالى: (لا يسخر قوم من قوم)

المفروض أن الذي سيسخر هو فرد واحد، ولكن الله سبحانه أسند السخرية المنهي عنها إلى (قوم)،مع أن العادة جارية بأن السخرية لا تنشأ إلا من فرد واحد؛ فلماذا جاء اللفظ بالقوم ؟

لو رجعنا قليلا لوجدنا قوله:{ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** } الحجرات:9

فهنا طائفة متقاتلة مع طائفة أخرى، ولما انتهى القتال وجاء الإصلاح ، ربما يكون هناك بعض المناوشات من أفراد الطائفتين ، وقد تكون طائفة أقوى من الأخرى فتفخر عليها وتسخر من الطرف الثاني، فجاء التعبير بالقوم بناء على أنه تقدم عندنا طائفتان.

اشتراك الراضي عن الفعل في الإثم :

ولو أن شخصا من إحدى الطائفتين سخر بالطائفة الثانية؛ فإن إسناد السخرية يكون للطائفة التي منها الشخص الذي سخر، ويكون الإسناد للمجموع لا للفرد فقط؛ لأن الواحد يتكلم باسم جماعته، ومن هنا لو أن البعض لم يسخر ولم يرض لكنه مشارك بالسكوت بمعنى أنه سمع ورضي بذلك، كما قال أبو سفيان بعد غزوة أحد وما حدث من تشويه لجثث الصحابة: **(لم آمر بها ولم تسؤني)**؛ فهذا الساكت مشارك للذي سب في الإثم، وهكذا هنا الجماعة الواحدة؛ فالذي يتكلم منهم ويسخر من الطائفة الثانية كأنه تكلم باسم الجميع، والجميع يتحمل الإثم؛ لأنه سكت ورضي.

والحاصل: أن السخرية لا تنشأ إلا من شخص واحد ، والقوم موافقون وراضون وساكتون فهم شركاء في الإثم ، أما من ينكر ذلك فقد خرج منهم.

﴿ **ولا تلمزوا أنفسكم** ﴾ اللمز هو العيب.

والسر في مجيء النهي: (ولا تلمزوا)عقب النهي عن السخرية لأن من سخر من إنسان في نفسه لمزه بلسانه عند غيره فهذا مترتب على ذاك.

﴿ **أنفسكم** ﴾ فسر بمعنيين:

المعنى الأول: لا يلمز بعضكم بعضا، لأن كل واحد منا بمنزلة نفس الإنسان، أخوك بمنزلة نفسك، فإذا لمزته فكأنما لمزت نفسك.

والمعنى الثاني: إن المعنى لا تلمز أخاك، لأنك إذا لمزته لمزك، فلمزك إياه سبب لكونه يلمزك، وحينئذ تكون كأنك لمزت نفسك، **وعليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لعن الله من لعن والديه» فقالوا: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه» رواه البخاري**

قوله تعالى: ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب** ﴾ اللقب: هو الاسم الذي يشعر بذم أو بمدح، يذكر تارة للتعريف وتارة للتنقص، وإذا كان للتنقص وكان ذلك المسمى به يكرهه؛ فلا يجوز أن يذكر به.

قوله تعالى : ﴿ **بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان**﴾ **يعني** بئس لكم أن تنقلوا من وصف الإيمان إلى وصف الفسوق، فإذا ارتكبتم ما نهى الله عنه صرتم فسقة، فلا تجعل نفسك بعد الإيمان فاسقا.

قوله تعالى : ﴿ **ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾ وعيد شديد؛ كأنه يقول: توبوا من هذه السخرية، وتوبوا من هذا اللمز، وتوبوا من هذا التنابز، فإذا لم يتب أحدكم واستمر على ذلك اعتبر من الظالمين

تضمنت الآية الكريمة النهي عن ثلاثة أمور وهي :

1- **النهي عن السخرية.**

2- **النهي عن سب الغير.**

3- **النهي عن التنابز بالألقاب.**

أولا / النهي عن السخرية

الناس يتفاضلون في العلم، فبعضهم أعلم من بعض ، وهم يتفاضلون في الرزق، فمنهم من بسط له في رزقه، ومنهم من قدر عليه في رزقه، وهم يتفاضلون في الأخلاق، فمنهم ذوو الأخلاق الفاضلة العالية، ومنهم دون ذلك، وهم يتفاضلون في الخلقة، منهم السوي الخلقة، ومنهم من دون ذلك، ويتفاضلون كذلك في الحسب، منهم من هو ذو حسب ونسب، ومنهم دون ذلك، فهل يجوز لأحد أن يسخر ممن دونه في العلم أو المال، أو الخلق، أو الخلقة، أو الحسب، أو النسب؟

أليس الذي أعطاك الفضل هو الله الذي حرمه هذا – في تصورك – فلماذا السخرية إذن ؟

ولهذا قال – عز وجل -: {**عسى أن يكونوا خيرا منهم**} رب ساخر اليوم مسخور منه في الغد، ورب مفضول اليوم يكون فاضلا في الغد .

وهذا شيء مشاهد، **وفي الحديث «لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك» رواه الترمذي وصححه الألباني .**

ونضرب لذلك مثلا من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نتكلم عن احتقار المسلم يعني أن مجرد وقوع الإنسان في المعصية هذا لا يدفع المسلم إلى أن يحتقره وأن يزدريه :

كان هناك رجل من الصحابة يشرب الخمر كثيرا فيشرب الخمر ثم يؤتى به فيجلد فيرجع مرة أخرى ويشرب الخمر ثم يجلد فجيء به وقد شرب الخمر فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة أن يجلدوه فقال أحد الصحابة: "لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به"

يعني في كل مرة يجلد ويشرب الخمر ألا يتقي الله ألا يستحي من نفسه فلعنه غضبا لله عز وجل!!

فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة، قال "لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله"

رغم أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة منهم شاربها، وهذا الصحابي إنما قالها حمية لله عز وجل.

إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن أمر في قلب هذا الإنسان بإخبار الله عز وجل وإطلاعه لنبيه عليه، وهو محبة هذا الصحابي الذي كان يشرب الخمر لله عز وجل وللنبي صلى الله عليه وسلم فكانت هذه المحبة منعت من لعنه.

فكذلك الإنسان قد ترى أنت إنسانا صاحب معصية ومخالفة لأمر الله عز وجل فتأخذك الحمية فتقول كلمة والأشد من ذلك هو احتقارك لهذا المسلم .

وكما نعلم أن الإيمان قول وعمل يدخل فيه الأعمال الظاهرة ويدخل فيه أعمال القلوب وتفاوت العباد الحقيقي بما في قلوبهم من محبة الله عز وجل ومن خشيته ومن رهبته ومن مراقبته ومن شكره، ومن التوكل عليه والإنابة إليه ، والحياء منه سبحانه وتعالى، فهذه الأعمال التي في القلوب لا تطلع عليها أنت ، ولا يطلع عليها غيرك، فربما تزدري الإنسان ، وتحتقره بحسب ما ظهر لك من أعماله الظاهرة ؛ هذا إذا كان عمله مخالفة لأمر الله عز وجل ، ولكن يخفى عليك ويغيب عنك شيء عظيم من أعمال القلوب التي تكون في قلب هذا الإنسان.

إذن علينا أن نحترز من احتقار الآخرين ، ومن ازدرائهم، فكيف إذا كان هذا الاحتقار، والازدراء مبنيا على أمر من أمور الدنيا، ليس غضبا لله عز وجل ، يعني إنسان يحتقر إنسانا لأنه قبيح في منظره، أو لأن ثيابه رثة (بالية قديمة) أو فقير أو جاهل ، هذه كلها لا قيمة لها في ميزان الله عز وجل.

فاحتقار المؤمنين ليس من خلق أهل الإسلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم **" المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره"**

وقال: " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم "

يعني : يكفيك من الشر الذي تستحق عليه العقوبة من الله عز وجل أن تحتقر أخاك المسلم، هذا يكفيك لا تحتاج معه لذنب آخر وهذا يدل على أن احتقار المؤمنين كبيرة من الكبائر .

(عسى أن يكونوا خيرا منهم)، الخيرية هذه لها جهتان: خيرية في الدنيا، وخيرية في الآخرة.

عسى أن يكونوا خيرا منهم عند الله، أنت تسخر منه وهو خير منك عند الله، **كما جاء عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال :**

(مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لرجل عنده جالس : ما رأيك في هذا ؟ فقال : رجل من أشراف الناس هذا والله حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع .

قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مر رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما رأيك في هذا ؟ فقال : يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري إن خطب ألا ينكح وإن شفع ألا يشفع وإن قال ألا يسمع قوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا) رواه البخاري .

وهذا عبد الله بن مسعود كان رضي الله تعالي عنه – خفيف اللحم قصير القامة يروي زر بن حبيش عن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه! فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : مم تضحكون؟! قالوا يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد)

هذه الخيرية عند الله(أخروية)

لكن وإن قال المفسرون هذا ولكن أقول قد يكون هذا في الدنيا أيضا؛ أنت غني تسخر من فقير، وما يدريك أن هذا الفقير على مكارم الأخلاق، وأحسن العادات صدوق في الحديث، وفي في العهود، محافظ على أوامر الله، يقيم الصلاة، يصوم رمضان، بينما أنت مفرط في بعض ذلك.

قد تسخر منه لصحتك وهو مريض، وما يدريك لعله في مرضه يقوم الليل ويناجي ربه، وأنت غارق في النوم.

إذا: قد تكون الخيرية في الدنيا بجوانب أخرى، أنت استنقصته بفقره والله عوضه من ذلك، ولهذا جاء عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: **(إن الله تعالى قسم العطاء على الخلق، ولو نظرت في أحوال الناس لوجدتهم من حيث العطاء سواء)**

قد تقول: كيف هؤلاء متساوون: هذا فقير وهذا غني، وهذا صحيح وهذا مريض، قال: (إن أعطى هذا مالا ومنعه من هذا، فقد يعطي هذا راحة بال وطمأنينة نفس خير من مال هذا)، قد يكون المال مشغلا لصاحبه، مقلقا له، مؤرقا إياه، ولكن هذا راض بما قسم الله له، والرضا عطاء من عند الله، فيبيت مطمئنا راضيا قانعا، فيكون أسعد حالا، وقد يعطي الله هذا مالا ويمرض هذا ويعطيه من الحكمة والعلم ما يساوي مئات المرات مما أعطى هذا من صحة ومال.

وكما جاء عن عروة بن الزبير : أنه أصيبت ساقه، فجاء الطبيب فقال: لابد من بترها حتى لا يتفشى المرض في باقي الجسم فتقضي على حياتك، فقطعت الرجل، وكان الناس يأتون يسلمون عليه ويعزونه في رجله وكان يغطي رجله عن الناس ، فدخل عليه أناس من أخص أصحابه ، فقال لابنه: (اكشف عن رجلي ليراها فلان، فنظر إليه فضحك، قال: ما يضحكك على هذه المصيبة؟ قال: نحن ما أعددناك للسباق والصراع، ولكن أعددناك للعلم والفقه -وكان عروة أحد الفقهاء السبعة- قال: والله ما عزاني أحد فيها كما عزيتني أنت)

فلئن ذهب جزء من الساق أو الساق بكاملها فقد أعطاه الله سبحانه وتعالى من العلم والحكمة ما يفوق على الدنيا وما فيها.

إذا: عسى أن يكونوا في الدنيا بجوانب أخرى خيرا منكم؛ فلا يسخر قوم من قوم.

إذا رأى الإنسان من نفسه تطلعا أو تطاولا وجاء الشيطان وأغراه فليقمع الشيطان عنه، وليعلم بأن هناك صفات أخرى إما معنوية أو حسية هي خير مما يسخر به هذا الإنسان.

إذا: فالأحمق وغير العاقل هو الذي يسخر من أخيه الإنسان.

ألفقره وغناك تسخر منه؟ فالغنى ليس بمحض جهدك بل الله سبحانه وتعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، لينظر هل يشكر أم يكفر، يصبر أم يضجر؟ فهو عطاء من عند الله، والصحة كذلك ليست من جهدك ولا من عطائك، وهكذا لا ينبغي لعاقل قط أن يسخر من إنسان آخر رآه في حسبانه هو أنه منقصة في هذا الشخص الآخر .

الفرق بين السخرية والاستهزاء:

إن بين السخرية والاستهزاء فرقا من جهتين :

الأولى: السخرية تكون بالفعل وبالقول والاستهزاء لا يكون إلا بالقول.

الثانية: أن السخرية يسبقها عمل من أجله يسخر بصاحبه أما الاستهزاء فلا يسبقه ذلك.

فالاستهزاء يكون بالقول المصحوب بسوء النية، وهو إظهار الجد وإخفاء الهزل فيه.

السخرية والاستهزاء وجراثيم العجب والكبر

إن السخرية والاستهزاء لا ينبعثان إلا من نفس ملوثة بجراثيم العجب والتكبر، فهي تعمل على إيذاء من حولها بدافع الشعور بالفوقية المتغلغلة في أعماقها المريضة.

إنها داء من أدواء الجاهلية يجب تجنبه والبعد عنه وخصوصا عند المشاحنة والخصومة ، لأن من شأنها أن تفكك عرى المجتمع ويكفى أنها مخالفة صريحة لأمر الله عز وجل ومبعدة من رضوانه سبحانه .

ثانيا /النهي عن سب الغير

وفي الآية أيضا تحريم عيب المؤمنين بعضهم بعضا، فلا يجوز لك أن تعيب أخاك بصفة خلقية أو صفة خلقية.

أما الصفة الخلقية التي تعود إلى الخلقة فإن عيبك إياه في الحقيقة عيب لخالقه – عز وجل – فالذي خلق الإنسان هو الله عز وجل، والذي جعله على هذه الصفة هو الله عز وجل، والإنسان لا يمكن أن يكمل خلقته فيكون الطويل قصيرا، أو القصير طويلا، أو القبيح جميلا، أو الجميل قبيحا؟ فأنت إذا لمزت إنسانا وعبته في خلقته فقد عبت الخالق في الواقع، ولهذا لو وجدنا جدارا مبنيا مائلا وعبنا الجدار فعيبنا لباني الجدار، إذن إذا عبت إنسانا في خلقته فكأنما عبت الخالق – عز وجل –

قال رجل لحكيم يا قبيح الوجه فقال : ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه!!!

أما عيبه بالخلق بأن يكون هذا الرجل سريع الغضب، شديد الانتقام، بذيء اللسان، فينبغي إذا وجدت فيه سوء خلق فالواجب النصيحة، أن تتصل به إن كان يمكن الاتصال به، وتبين له ما كان به من عيب، أو أن تكتب له رسالة.

3- النهي عن التنابز بالألقاب

{ولا تنابزوا بالألقاب } يعني لا ينبز بعضكم بعضا باللقب، فتقول له مثلا: يا فاسق، يا فاجر، يا أسود، يا نحيف، يا أعرج؛ لا تفعل هذا؛ لأنك إذا نبزته باللقب فإما أن يكون اللقب فيه، وإما ألا يكون فيه؛ فإن كان فيه فقد ارتكبت هذا النهي

وإن لم يكن فيه فقد بهته وارتكبت النهي أيضا .

والألقاب على ثلاثة أنواع:

1- **قسم يكرهه الإنسان ويبغضه**، وهو ما يعير به، فهذا يحرم التسمية به أو النداء. بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم غير ألقاب بعض أصحابه وأسماءهم، فسمى العاص: عبد الله، وشهابا: هشاما، وسمى حربا سلما.

2- **قسم يحبه صاحبه** كأبي تراب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم به.

قال سهل بن سعد: ما كان اسم أحب إلى علي أن يدعى به من أبي تراب.

فهذا لا يكره.

3- **وقسم غلب عليه الاستعمال**، كالأعرج والأعمش، مما اشتهر من أسماء الأشخاص والعائلات ، فهذا جائز بشرط ألا يقصد قائله التعيير واللمز ونحوه

وعلى هذا المعنى ترجم البخاري – رحمه الله – في كتاب الأدب من الجامع الصحيح **في (باب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم: الطويل والقصير لا يراد به شين الرجل) قال: وقال النبي – صلى الله عليه وسلم: "ما يقول ذو اليدين".**

قال الزمخشري: ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب الحسن، قال عمر رضي الله عنه أشيعوا الكنى فإنها منبهة.

ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق، وعمر بالفاروق، وحمزة بأسد الله، وخالد بسيف الله، وقل من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب، ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها – من العرب والعجم – تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير.

وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما

وينبغي على المسلم أن يقابل الإساءة بالإحسان والجهالة بالحلم فذاك يرفع قدره عند الله ، ولا يلتفت لكل من جهل عليه .

قال علي بن يزيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا

كما أن سلمان لما شتم (بضم الشين) قال: إن خفّت موازيني فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول.

فقد كان همه مصروفا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم.

وكذلك شتم (بضم الشين) الربيع بن خثيم فقال: يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتها لم يضرني ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول .

وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال: ما ستر الله عنك أكثر.

وسب رجل الشعبي فقال: إن كنت صادقا فغفر الله لي وإن كنت كاذبا فغفر الله لك.

ومر المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له: إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال: كل ينفق مما عنده.

وكان الشيخ الشعراوي يتعرض للسب والغمز من بعض الكتاب والصحافيين فلما كلموه في الرد عليهم قال لن أعطيهم شرف الرد عليهم.

ورحم الله من قال :

يخاطبني السفيه بكل قبح — وآبى أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة وأزيد حلما — كعود زاده الإحراق طيبا

وآخر يقول:

إذا نطق السفيه فلا تجبه — فخير من إجابته السكوت

إذا جاوبته فرجت عنه — وإذا خليته كمدا يموت

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت

واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

أهم ما يستفاد من الآية:

1. تحريم السخرية بين المؤمنين لأنها تنافي أخوة الإيمان.
2. قد يكون من تسخر منه خيرًا منك عند الله في الدنيا أو الآخرة.
3. تخصيص النساء بالذكر لكثرة السخرية بينهن بسبب الغيرة.
4. الساخر يتحمل الإثم ومعه قومه إذا سكتوا ورضوا.
5. النهي عن اللمز لأنه يؤدي إلى الفتنة والشقاق بين المسلمين.
6. من لمز أخاه فقد لمز نفسه لأنه جزء من جماعة المؤمنين.
7. من لمز خلقة أخيه فقد اعترض على خلق الله تعالى.
8. النهي عن التنابز بالألقاب التي فيها تنقص أو إذلال.
9. مناداة الناس بألقاب يكرهونها محرمة وتدخل في الفسوق.
10. من لم يتب عن هذه الذنوب اعتُبر من الظالمين.
11. الإيمان لا يُقاس بالمظاهر بل بحقائق الإيمان وأعمال القلوب.
12. لا يجوز السخرية بسبب الفقر أو الجهل أو الشكل أو النسب.
13. الخير الحقيقي في التقوى لا في المال أو الجاه أو الجمال.
14. لا عبرة بمقاييس الناس الظاهرة فالله أعلم بالقلوب.
15. السخرية والاستهزاء من صفات أهل الجاهلية لا أهل الإيمان.
16. التنابز بالألقاب الجارحة يوقع في الإثم سواء صدق اللقب أو لا.
17. يجب على المسلم أن يعامل غيره بالإحسان والحلم.
18. مقابلة الإساءة بالإحسان ترفع قدر المسلم عند الله.
19. من علامات التقوى ترك المشاحنة والغيبة والتنابز والسخرية.

****

الفصل السابع

النهي عن سوء الظن والتجسس

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12]

الفصل السابع

النهي عن سوء الظن والتجسس

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12]

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن**﴾ والمراد بالظن: هو التخمين بوقوع شيء ثم يبني على ذلك الظن أشياء ليس لها حقيقة، فيسبب ذلك عداوة وبغضاء.

الظن الحسن والظن السيء

1-الظن الحسن:

هو تقديم حسن الظن بالمسلم ، وهو مندوب إليه.

وفي حادثة الأفك حينما رمى المنافقون عائشة رضي الله عنها بالبهتان قال تعالى: (**ولولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين**) وهذا أبو أيوب الأنصاري حينما قالت له امرأته: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك، فكان فيما نزل من الآيات (**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون)...** الآية: أي كما قال أبو أيوب وصاحبته.

2- الظن السيء:

سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة، وهذا هو المراد من النهي في الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن**﴾

وكذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابت في الصحيحين، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث".**

وقد سماه حديثا؛ لأنه حديث النفس، وإنما كان الظن أكذب الحديث؛ لأن الكذب مخالفة الواقع من غير استناد إلى أمارة، وقبحه ظاهر لا يحتاج إلى إظهاره ، وأما الظن فيزعم صاحبه أنه استند إلى شيء، فيخفى على السامع كونه كاذبا بحسب الغالب، فكان أكذب الحديث.

قصة حاطب بن أبي بلتعة :

وفي قصة حاطب لما كتب إلى أهل مكة يفشي إليهم خبر النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة ثم اعتذر، أراد عمر أن يقتله وقال: إن الرجل قد نافق، وكان ذلك مبنيا على الظن ، ولكن قبل النبي صلى الله عليه وسلم منه عذره وحسن نيته ، ومنع عمر من البناء على ذلك الظن؛ لأنه ظن خاطئ .

عن عبيد الله بن أبي رافع ، وهو كاتب علي ، قال : سمعت عليا ، رضي الله عنه ، وهو يقول: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ، والزبير ، والمقداد ، فقال : ائتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة (امرأة)، معها كتاب ، فخذوه منها ، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا ، فإذا نحن بالمرأة ، فقلنا : أخرجي الكتاب ، فقالت : ما معي كتاب ، فقلنا : لتخرجن الكتاب ، أو لتلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها .(خيط تشد به أطراف الضفائر عند المرأة)

فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة ، إلى ناس من المشركين ، من أهل مكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب ، ما هذا ؟

قال : لا تعجل علي يا رسول الله ، إني كنت امرءا ملصقا في قريش (كان حليفا لهم)، وكان ممن كان معك من المهاجرين ، لهم قرابات يحمون بها أهليهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم ، أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ، ولم أفعله كفرا ، ولا ارتدادا عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق .

فقال عمر : دعني يا رسول الله ، أضرب عنق هذا المنافق .

فقال : إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك ، لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم ، فأنزل الله ، عز وجل : "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء".

لا تلعنوه :

وقصة الصحابي الذي عوقب أكثر من مرة لشربه الخمر فأتي به يوما ، فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **لا تلعنوه ، فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله.** أخرجه البخاري

من كلام السلف:

ولذلك كان السلف يؤكدون على وجوب تجنب الظنون السيئة وحمل الناس على المحامل الحسنة، وطرد ما يلج للخاطر من أوهام وظنون، ومن أقوالهم :

- قال أبو قلابة: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذرا فقل في نفسك: لعل لأخي عذرا لا أعلمه
- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا، وأنت تجد لها في الخير محملا
- وقال ابن عباس: (إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه، وأن يظن به ظن السوء).
- وعن ابن بريدة الأسلمي، قال: شتم رجل ابن عباس، فقال ابن عباس: إنك لتشتمني، وفي ثلاث خصال:

الأولى : إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل، فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم منها.

الثانية: وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به، ولعلي لا أقاضي إليه أبدا،

الثالثة: وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح، وما لي به من سائمة (أنعام ترعى).

إذن فسوء الظن هو الخوض في الخيال المسيء والخطأ في حالة مواجهة فعل يمكن أن يكون له تفسيرين، صحيح وخاطئ .

نذكر لذلك بعض الأمثلة:

قد يتوهم البعض ، أو يزين له الشيطان أن فلانا يبغضه ؛ فيبني على هذا عداوة وشحناء في الصدر ، وعدم صفاء في الصدر تجاه أخيه المسلم .

والبعض يسيء الظن بزوجته بدافع الغيرة ويتشكك في زوجته ويفسر كل سلوك على أنه خيانة أو سوء أخلاق منها ، وقد يقع هذا من الزوجة أيضا تجاه زوجها وفي الحديث **(إن من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره الله، فالغيرة التي يحبها الله الغيرة في الريبة، والغيرة التي يكرهها الله الغيرة في غير ريبة) .**

وقد يتناقل الناس عن فلان أنه متهم في دينه ، أو أن هؤلاء القائمين على الجمعية أو الهيئة الفلانية يأكلون المال بغير حق ، فيضرون إخوانهم ويشوهون صورة المجتمع المسلم .

والحاصل أن الظن والتخمين أوقع كثيرين في العداوة والبغضاء ، ففشت بينهم الأحقاد، وساءت المعاملات فيما بينهم، وظهر الحسد والبغضاء ، كل ذلك مبناه على أخبار وهمية ظنوها صادقة وليس لها حقيقة .

ما الفرق بين الظن والشك؟

الشك وجود معرفة على وجهين متناقضين في كفتي ميزان متعادل، ويمثل علماء المنطق لذلك: إذا رأيت شخصا من بعيد فلا تستطيع أن تجزم أكان رجلا أو امرأة، فلم تستطع الجزم بذلك والكفتان متعادلتان .

في هذه الحالة يكون إدراكك للشخص شك لأنك لم ترجح أحد الجانبين.

ولكن إذا اقترب الشخص منك قليلا ثم تبين لك أنه رجل، حينئذ هذا الجانب الذي رجح ونزلت كفته عشرة في المئة يعتبر ظنا، والكفة المرجوحة التي نقص الإدراك فيها عشرة في المئة يعتبر وهما .

فالظن أحد الجانبين الذي رجح بعد أن كان شكا متعادلا.

فإذا انتهى الوهم، وكان العلم لجانب واحد، بأن دنا منك ورأيته بملابسه وتأكدت (99%) أنه رجل، حين ذلك يكون علما.

والعلم مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

فعلم اليقين الذي لا يقبل وهما يطرأ عليه فمثلا : المسلمون في كندا أو روسيا يتوجهون في صلاتهم إلى الكعبة، فهم يعتقدون ويعلمون بوجود الكعبة، فإذا قدر لهذا الإنسان أن جاء إلى مكة ووصل إلى المسجد الحرام ووقف عند الباب، فعلمه بها وهو يراها بعينه هو عين اليقين .

فإذا طاف حولها زاد علما، فإذا فتحت الكعبة ودخل وصلى في جوف الكعبة، فعلمه بالكعبة وهو في جوفها أقوى من علمه وهو واقف في الباب، فهذا هو حق اليقين.

ما السر في قوله تعالى:" إن بعض الظن إثم " ؟

بين الله أن بعض الظن إثم لأن الظن ينقسم إلى:

الظن السيئ الذي لم تقم عليه قرينة ولا دليل وهو المنهي عنه في الآية الكريمة .

الظن السيئ الذي قامت عليه القرينة وهذا جائز، كرؤية المرأة التي لا زوج لها حامل ، أو آثار الغنى المفاجئ على فقير أو متوسط الحال فيسأل من أين لك هذا ؟

ومن الجدير بالذكر أن هذا الزمن مليء بالإشاعات والانقياد وراء عدم التثبت، وإن آثار ظن السوء المتفشية في المجتمعات لهي مؤشر سلبي على أمن المجتمع، فلو حرص كل مسلم على ما يفكر وما يقول؛ لتجنب مساوئ الأمور، وبات مجتمعه مجتمعا متحابا متعاونا صافيا.

والإنسان تمر به مواقف لا يرى فيها إلا وجها واحدا، يرى إنسانا في أمر ما فلا يراه إلا مسيئا عاصيا، فربما تكلم فيه ونشر خبره، ثم إذا اتضح الأمر وبانت الحقائق ظهر له أنه كان مخطئا، وهذا هو الذي لا يريده الله تعالى منا، لذا الواجب التحرز التام .

كيف نتجنب سوء الظن ؟

1- لا تحكم إلا بعد أن تتيقن، أي يصل بك اليقين إلى درجة أنك تقدر على الحلف على ما ظننت.. هذا الإجراء خطوة في كف الناس عن سوء الظن.

2- التأمل في حقيقة البشر، من حيث الذهول والضعف والنسيان .. فإذا تأمل المرء في حقيقة البشر، وجد نفسه مرغما على التماس العذر لهم، وعدم مؤاخذتهم بما يصدر منهم من أمور يمكن حملها على الوجه الحسن، ولو باحتمال ضعيف.

3- الأخوة، فإن أخوة الإيمان تحمل لزوما على تقديم حسن الظن بالمؤمن، فالمؤمن في أصل الأمر لا يريد شرا، والتعامل معه وحمل ما يصدر منه على هذا الأصل يوجب حسن الظن والبعد عن سوء الظن .

4- البعد عن الشبهات : فكما أنه يجب على المسلم إحسان الظن بإخوانه، كذلك يجب عليه البعد عن الشبهات، فيجب على المسلم ألا يوقع نفسه في شبهة قصدا وعمدا، بدعوى أنه لا يبالي بالناس، فمن لا يستحي من الناس لا يستحي من الله ..

فيجب أن يتحرز من الوقوع في الشبهات، فإن وقوعه فيها يفتح للشيطان طريقا عليه وعلى إخوانه، عليه بتشويه سمعته صورته، وعلى إخوانه ببث وساوسه فيهم، وإيقاعهم في الإثم بسوء الظن .. فإن وقع في شبهة ما لسبب ما، فعليه أن يبادر إلى التوضيح وتجلية حقيقة الأمر لكل من رأى تلبسه بالشبهة كي يدفع عن عرضه، ويرحم إخوانه من إساءة الظن وتألم المشفق.

وفي الحديث أن صفية رضي الله عنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو معتكف، ثم قام يقلبها إلى بيتها فمر بهما رجلان فأسرعا، فقال عليه الصلاة والسلام: (على رسلكما، إنما هي

صفية بنت حيي).. فقالا: سبحان الله، يا رسول الله، وكبر عليهما.. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا)

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين كيف أن على المسلم أن يدفع عن نفسه الشبهة..

فالإنسان قد يقع في الشبهة من طريقين:

الأول: أن يكون الأمر ليس فيه شبهة أصلا، لكن الناس قد ينظرون إليه على أنه شبهة، كما في قصة صفية رضي الله عنها، فمن المستحسن البيان والتوضيح إذا شعر بريبة الحاضرين.

الثاني: أن يكون شبهة في نفس الأمر، كمن رؤي يكلم امرأة أجنبية، ربما كانت تسأل عن الطريق أو غير ذلك، أو إذا رآه أحدهم يأكل أو يشرب في نهار رمضان فيبين أنه مفطر لمرضه مثلا ... فمثل هذا لازم عليه أن يبين لمن شك فيه حقيقة القضية، ولا يتركه بشكه .

فالابتعاد عن الشبهة يحقق فائدتين:

الأولى: سلامة العرض من الذم.

الثانية: عدم تحميل الناس مشقة البحث عن الأعذار لهذا الواقع في الشبهة، وقد علم أن أكثرهم يتضجرون من ذلك، ولذلك تراهم يسيئون الظن ابتداء، لأن إساءة الظن ليس فيها تكلف ولا مشقة، كما في إحسان الظن والتماس المعاذير.

ولذا كان الملتمس للمعاذير مؤمنا، أي مثابا على ذلك، لأنه يحزنه ولا يرضيه الطعن في أخيه، فيجهد نفسه وعقله ولسانه بالدفاع عنه، بينما الطالب للزلات منافق، لا ثواب له، لأنه لا يدفع عن عرض المؤمن، بل يتشفى ويشمت ويفرح بزلات المؤمنين، وتلك ليست من صفات المؤمنين.

ثانيا / النهي عن التجسس (ولا تجسسوا)

لماذا قدم الظن على التجسس ؟

في هذه الآية الكريمة ترتيب عجيب أشار إليه القرطبي رحمه الله فقال: لأن الإنسان إذا ظن السوء سينتقل إلى مرحلة أخرى وهي التجسس ليتأكد ثم بعد التجسس سوف يغتاب ذلك الرجل بذكر معايبه.

فبعضها يجر بعضا ، فانظر إلى هذا التسلسل العجيب لأن الله هو الخالق لهذا الإنسان وهو العالم كيف تتسلسل في النفس وفيه تنبيه من جانب آخر أنه يجب على الإنسان أن يغلق أبواب الشر على نفسه لأنه إذا فتح باب الظن أنفتح باب التجسس ثم إذا امتلأ القلب بهذه الأمور المنكرة أصبح يفرغها في المجالس التي يجلس فيها فيقع في الغيبة .

يقول الله تعالى: ﴿ ولا تجسسوا ﴾ :

التجسس طلب المعايب من الغير، أي أن الإنسان ينظر ويتصنت ويتسمع لعله يسمع شرا من أخيه، أو لعله ينظر سوءا من أخيه، والذي ينبغي على المسلم أن يعرض عن معايب الناس، وألا يحرص على الاطلاع عليها، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يخبرني أحد عن أحد شيئا»، يعني شيئا مما يوجب ظن السوء به «فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»

فلا ينبغي للإنسان أن يتجسس، بل يأخذ الناس على ظاهرهم، ما لم يكن هناك قرينة تدل على خلاف ذلك الظاهر.

وهناك قراءة أخرى (ولا تحسسوا) وهي غير متواترة .... قيل: معناهما واحد، وقال الحافظ ابن كثير: والتجسس غالبا يطلق على الشر، ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالبا في الخير، وقد يستعمل كل منهما في الشر.

والأرجح أن لكل واحدة منهما معنى، والفرق هو:

أن التجسس أن يحاول الإنسان الاطلاع على العيب بنفسه.

والتحسس أن يلتمسه بجميع حواسه كما في قول يعقوب لبنيه **(يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه)** [يوسف:87]

وعلى هذا فتكون القراءتان مبينتين لمعنيين كلاهما مما نهى الله عنه، لما في هذا من إشغال النفس بمعايب الآخرين.

ولهذا من ابتلي بالتجسس أو بالتحسس تجده في الحقيقة قلقا دائما في حياته، وينشغل بعيوب الناس عن عيوبه، ولا يهتم بنفسه، والعاقل هو الذي ينظر إلى معايب نفسه ليصلحها، لا أن ينظر في معايب الغير ليشيعها – والعياذ بالله – ولهذا قال الله – عز وجل -: **{إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم }[النور:19]**

ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تتبع أمور الناس وعوراتهم ، حرصا منه صلى الله عليه وسلم على شغل المسلم نفسه بالخير، وعدم الوقوع فيما لا يغني من الله شيئا ، فقال : **(يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ! لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته)** رواه أبو داود وصححه الألباني

فالمسلم مطالب بأن يستر على أخيه المسلم لا أن يفضحه وأن يشهر به ويذكر معايبه في المجالس وينشرها بين الناس وربما يفرح بما يكتشفه من الأخطاء والعيوب والزلات والهفوات التي يقع فيها المسلم، فهذا أخوك سترك له هو ستر لك أنت .

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم يقول: "إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم "أخرجه أبو داود

لذا فإنه لا ينبغي للمسلم أن يلتفت كثيرا إلى أفعال الناس ، يراقب هذا ، ويتابع ذاك ، ويفتش عن أمر تلك ، بل الواجب عليه أن يقبل على نفسه فيصلح شأنها ، ويقوم خطأها ، ويرتقي بها إلى مراتب الآداب والأخلاق العالية ، فإذا شغل نفسه بذلك ، لم يجد وقتا ولا فكرا يشغله في الناس وظن السوء بهم .

أهم ما يستفاد من الآية:

1. النهي عن الظن السيئ لأنه يؤدي إلى الإثم ويُفسد العلاقات بين المسلمين.
2. الظن الحسن مطلوب ومندوب إليه خاصة بين المؤمنين.
3. سوء الظن يولد العداوة ويقطع صلة الأخوة الإيمانية.
4. النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الظن وقال إنه أكذب الحديث.
5. حسن الظن دليل على سلامة القلب والإيمان.
6. سوء الظن قد يدمر العلاقات بين الأصدقاء والأزواج والأقارب.
7. الظن مبني على تخمين لا دليل له ويقود إلى التجسس والغيبة.
8. التثبت قبل الحكم على الآخرين يحمي النفس من الإثم والظلم.
9. بعض الظن فقط هو الإثم، وهو ما لا دليل عليه ويُبنى عليه حكم.
10. الظن القائم على قرائن جائزة ليس داخلا في النهي.
11. حسن الظن يشيع الأمن والراحة في المجتمع المسلم.
12. الوقوع في الظن دون تثبت يؤدي إلى ظلم الآخرين ونقل الإشاعات.
13. الواجب التأكد واليقين قبل إصدار الأحكام أو نقل الأخبار.
14. من السنة دفع الشبهات عن النفس كما فعل النبي في قصة صفية.

21. التجسس محرَّم لأنه متابعة لعورات الناس وطلب لفضائحهم.
22. الترتيب في الآية يدل أن الظن يؤدي إلى التجسس ثم إلى الغيبة.

23. الواجب على المسلم أن يشغل نفسه بإصلاح نفسه لا بعيوب غيره.

24. النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يلقى الناس وقلبه سليم تجاههم.

25. التحسس هو طلب الخبر بالحواس والتجسس هو طلب العيب خفية.

26. التجسس يولد القلق الدائم وسوء الظن بين أفراد المجتمع.

27. المسلم يؤخذ بظاهره، ولا يبحث في باطنه إلا بدليل شرعي.

28. من التجسس تتبع أحوال الناس في منازلهم أو عبر أجهزتهم.

29. إشغال النفس بمعايب الآخرين من أسباب فساد القلب.

30. من تتبع عورات الناس تتبع الله عورته وفضحه في بيته.

31. التجسس يؤدي إلى نشر الفواحش بين المؤمنين.

32. التثبت قبل الظن يمنع الوقوع في التجسس والغيبة.

33. من شغل نفسه بعيوب الناس نسي عيوب نفسه فهلك.

34. كشف عورات الآخرين لا يدل على ذكاء بل على ضعف الإيمان.

35. المطلوب من المسلم أن يستر ويغفر ويعفو لا أن يفضح ويشمت.

36. الانشغال بإصلاح النفس أعظم من مراقبة الآخرين.

37. التجسس يزرع الفتنة والتفكك ويهدم الثقة بين الناس.

38. من التجسس البحث في أجهزة الآخرين أو هواتفهم دون إذنهم.

39. حسن الخلق والإيمان يمنع المسلم من التجسس وظن السوء.

الفصل الثامن

من مفسدات الأخوة (الغيبة)

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12]

الفصل الثامن

من مفسدات الأخوة (الغيبة)

مع قول الحق جل وعلا: ﴿ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12]

أولا / ماهي الغيبة ؟

الغيبة: هي أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه.

أما البدن: فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة، وجمع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان.

أما النسب: فكأن تقول: «أبوه هندي، أو فاسق، أو خسيس، أو إسكاف، أو زبال ...»، أو شيئا مما يكرهه كيفما كان.

أما الخلق: فكأن تقول: «هو سيئ الخلق، بخيل، متكبر، مراء، شديد الغضب، جبان، عاجز، ضعيف القلب، متهور...» وما يجري مجراه.

وأما في أفعاله المتعلقة بالدين: فكقولك: «هو سارق، أو كذاب، أو شارب خمر، أو خائن، أو ظالم، أو متهاون بالصلاة، أو الزكاة، أو لا يحسن الركوع أو السجود،».

أما في فعله المتعلق بالدنيا: فكقولك: «إنه قليل الأدب، متهاون بالناس، أو لا يرى لأحد على نفسه حقا، أو يرى لنفسه الحق على الناس، أو أنه كثير الكلام، نئوم ينام في غير وقت النوم، ويجلس في غير موضعه...».

وقد عرف رسول الله الغيبة حين قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟

قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»

الغيبة لا تقتصر على اللسان

الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه ، فالتعريض به كالتصريح، والفعل فيه كالقول، والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة، وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة ، وهو حرام.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت علينا امرأة، فلما أومأت بيدي أنها قصيرة، قال: «اغتبتيها»

ومن ذلك أيضا: المحاكاة، كأن يمشي متعارجا، أو يحاكي طريقة مشيته باستهزاء ، فهو غيبة، بل هو أشد من الغيبة ؛ لأنه أعظم في التصوير والتفهيم .

وكذلك الغيبة بالكتابة؛ فإن القلم أحد اللسانين.

الفرق بين الغيبة والنميمة والبهتان :

الغيبة: هي ذكر المسلم في غيبته بما فيه مما يكره نشره وذكره، كما سبق .

والبهتان : ذكر المسلم بما ليس فيه وهو الكذب في القول عليه .

والنميمة : هي نقل الكلام من طرف لآخر للإيقاع بينهما .

ثانيا / الأدلة على تحريم الغيبة :

قوله تعالى : : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ [الحجرات:12]

فشبه حالة المغتاب، كحالة إنسان جلس على جثة أخيه وبدأ يقطع لحمها ويأكلها وهذا الأخ هو إنسان ميت، هل هناك إنسان يمكن أن يقبل مثل هذه الصورة أو يشتهي مثل هذا اللحم، هذا هو حال المسلم الذي يغتاب أخاه المسلم.

قال العلماء وجه التشبيه أن هذا الأخ أنت تأكل لحمه فكذلك أنت تتحدث عنه فهذا الكلام الذي تقوله كأنك تأكل لحم أخيك.

الأمر الثاني هذا الإنسان هو غائب ليس موجودا في مجلسك لا يدري بما تقوله أنت عنه فكذلك هذا الميت لا يدرك ما يقال عنه، فكأن هذا الإنسان الغائب هو إنسان ميت وأنت تأكل لحمه وتتفكه به.

فكما أن الإنسان يكره هذه الصورة ؛ وهي أن يأكل لحم أخيه المسلم الميت ، فكذلك يجب عليه أن يكره الحديث ، أو أن يكره عيب أخيه المسلم الغائب عنه .

فقال الله عز وجل هنا: **" ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا "** نعم لا يحب أحدنا أن يأكل لحم أخيه ميتا " فكرهتموه ".

وحدث أن رجلين ذكرا ماعزا لما اعترف ورجم فقالا: (لم يرض بستر الله عليه حتى جاء واعترف حتى رجم رجم الكلب)، فسمعها صلى الله عليه وسلم، فسكت حتى مر بحمار قد انتفخ فقال: (فلان وفلان ! قالا: نعم يا رسول الله، قال: انزلا فكلا من هذه الميتة، قالا: يرحمك الله يا رسول الله، أتؤكل هذه الجيفة؟ -استعظما الأمر- قال: والذي نفسي بيده، للذي قلتما في أخيكم -أي: ماعز – أشد من أكلكما هذه الجيفة، والله إنه الآن ليرتع في بحبوحة الجنة).

كما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان واقفا مع إحدى نسائه فمرت من أمامهما صفية ، فقالت: ما يعجبك منها؟ يكفيك أنها وأشارت بيدها - يعني: أنها قصيرة- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)، والتعبير هنا بماء البحر دون ماء النهر لأن ماء النهر عذب، وأقل شيء يؤثر فيه، وماء البحر مالح لا يتأثر إلا بشيء غلب عليه، وكما يقولون: الماء المخلوط بالملح أو السكر يمنع أن يتشرب ما يدخل عليه من بكتيريا وغيره، فمثل بالبحر لبعد تأثره بما يقع فيه: **(لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)** فكيف بأكبر من ذلك؟!

أما الأحاديث فهي كثيرة منها:

1- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "قال لأصحابه: أتدرون ما الغيبة؟

قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: ذكرك أخاك بما يكره

قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته "رواه مسلم

2- وقال صلى الله عليه وسلم "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله" أخرجه مسلم

3- وقال في حجة الوداع: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت" .

4- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم "لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم" أخرجه أبو داود .

ثالثا /الأسباب الباعثة على الغيبة :

1- قلة الخوف من الله والوقوع في محارمه: فإن من استشعر عظمة الله تعالى، وأنه مطلع على أفعاله وأقواله؛ تجنب ما يسخط الله ويغضبه ، وضعف الورع والإيمان يجعل المرء يستطيل في أعراض الناس ؛ جاء في حديث عائشة في قصة الإفك قولها عن زينب بنت جحش أنها قالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرا ، تقول عائشة: (وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله فعصمها الله بالورع) .

2 – اللعب والهزل: فيذكر غيره بما يضحك الناس منه، على سبيل المحاكاة، حتى أن بعض الناس يكون كسبه من هذا.

3- تشفي الغيظ: بأن يجري من إنسان في حق آخر سبب يوجب غيظه، فكلما هاج غضبه تشفى بغيبة صاحبه.

4- موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم: فإنهم إذا كانوا يتفكهون في الأعراض رأى هذا أنه إذا أنكر عليهم أو قطع كلامهم استثقلوه ونفروا

منه، فيساعدهم ويجاريهم، ويرى أن ذلك من حسن المعاشرة...! قال تعالى حكاية عن لسان أهل النار {وكنا نخوض مع الخائضين} [المدثر:45].

قال قتادة في تفسير الآية: كلما غوى غاو غوينا معه .

5- إرادة رفع نفسه بتنقيص غيره: فيقول: «فلان جاهل وفهمه ركيك»، ونحو ذلك، غرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه، ويريهم أنه أعلم منه.

6- الحسد: فإن ثناء الناس على شخص وحبهم له وإكرامهم يدفع المغتاب إلى القدح فيه ليقصد زوال ذلك.

رابعا / كيفية التخلص من الغيبة:

1- تقوى الله عز وجل والاستحياء منه: ويحصل هذا بسماع وقراءة آيات الوعيد والوعد وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث تحذر من الغيبة ومن كل معصية وشر، ومن ذلك {أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون} [الزخرف:80].

وقد قال صلى الله عليه وسلم: (استحيوا من الله عز وجل حق الحياء ، قلنا : يا رسول الله إنا نستحي والحمد لله ، قال: ليس ذاك ، ولكن من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى ، وليحفظ البطن وما وعى . .) .

2- تذكر مقدار الخسارة التي يخسرها المسلم من حسناته ويهديها لمن اغتابهم من أعدائه وسواهم. قال صلى الله عليه وسلم : **(أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، وقد شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا ، فيأخذ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناتهم أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) .**

3- أن يتذكر عيوبه وينشغل بها عن عيوب نفسه ، وأن يحذر من أن يبتليه الله بما يعيب به إخوانه.

قال الإمام مالك: "أدركت بهذه البلدة – المدينة – أقواما لم يكن لهم عيوب ، فعابوا الناس ، فصارت لهم عيوب ، وأدركت بهذه البلدة أقواما كانت لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس ، فنسيت عيوبهم" .

قال الحسن البصري : كنا نتحدث أن من عير أخاه بذنب قد تاب إلى الله منه ابتلاه الله عز وجل به .

قال أبو هريرة: يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه.

4- مجالسة الصالحين ومفارقة مجالس البطالين: قال صلى الله عليه وسلم : (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ، لا يعدمك من صاحب المسك ، إما أن تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة) .

قال النووي في فوائد الحديث : فيه فضيلة مجالسة الصالحين ، وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب ، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجوره وبطالته ، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة .

4- قراءة سير الصالحين والنظر في سلوكهم وكيفية مجاهدتهم لأنفسهم:
قال أبو عاصم النبيل: ما اغتبت مسلما منذ علمت أن الله حرم الغيبة .

قال الفضيل بن عياض: كان بعض أصحابنا نحفظ كلامه من الجمعة إلى الجمعة. أي لقلته .

5- أن يعاقب نفسه ويشارطها حتى تقلع عن الغيبة. قال حرملة : سمعت رسول ابن وهب يقول: نذرت أني كلما اغتبت إنسانا أن أصوم يوما فأجهدني ، فكنت أغتاب وأصوم ، فنويت أني كلما اغتبت إنسانا أني أتصدق بدرهم ، فمن حب الدراهم تركت الغيبة.

قال الذهبي : هكذا والله كان العلماء ، وهذا هو ثمرة العلم النافع .

خامسا / مواضع جواز الغيبة :

ذكر العلماء أن هناك بعض الحالات التي تجوز فيها الغيبة وذلك إذا كان هناك مقصود شرعي ولا يمكن الوصول إلى هذا المقصود الشرعي إلا بهذه الطريقة.

وذكر العلماء لذلك ضابطين:

الضابط الأول أن يكون هذا الذي ستتكلم عنه هذا العيب ستذكره لمقصود شرعي معتبر.

والأمر الثاني أنك لا تستطيع أن تتوصل إلى هذا المقصود إلا عبر ذكرك أخاك بما يكره.

تجوز الغيبة في عدة مواضع منها :

1- غيبة الفاسق المجاهر بفسقه :

إذا كان الفاسق أو المبتدع مظهرا لفسقه وبدعته وجب أولا الإنكار عليه والنصح له بالتي هي أحسن، وأن يهجر ويذم على ذلك، أما إذا كان مستترا بذنبه مستخفيا، فإن هذا يستر عليه، لكن ينصح سرا، ويهجره من عرف حاله؛ حتى يتوب ويذكر أمره على وجه النصيحة، أما إن كان الفاسق يدعو إلى فسقه وكذلك المبتدع يدعو إلى بدعته وإلى عقائد تخالف الكتاب والسنة، ويخاف أن يضل الناس بذلك – بين أمره للناس؛ ليتقوا ضلاله، ويعلموا حاله، وذلك بعد الإعراض عن النصيحة، ويكون غرض الناصح أن يكفي الله المسلمين ضرره في دينهم ودنياهم.

وقد ورد في ذلك بعض الأحاديث وإن كان في سندها ضعف.

قال الحسن: ثلاثة ليس لهم حرمة، صاحب الهوى، والفاسق المعلن، والإمام الجائر.

2- ذكر من ظلمك لمن ترجو أن ينصفك، أو لنفي التهمة عنك :

قال – سبحانه -: **(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) النساء148** ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: " مطل الغني ظلم يحل

عرضه وعقوبته"، يعني الإنسان إذا كان غنيا يستطيع أن يقضي دينه ثم بدأ يماطل في هذا الدين يطلبه الدائن ولكن الغني يماطل يعني يتأخر ويتقاعس في قضاء هذا الدين فلهذا الإنسان أن يتكلم على هذا الغني ويقول هو ظلمني وأكل مالي ... وإلى غير ذلك.

3- في حالة الاستفتاء:

يعني لو أن رجلا جاء أحد العلماء يستفتيه فيقول مثلا ضربني فلان أو خانني فلان أو ظلمني فلان في كذا وكذا فما الحكم؟ ففي هذه الحالة لا تعد غيبة واستدل العلماء لهذه الحالة بأن هند رضي الله تعالى عنها وهي زوجة أبي سفيان رضي الله عنه جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني وأبنائي ما يكفيني أفآخذ من ماله ؟ قال: **" خذي وولدك ما يكفيك بالمعروف.**

4- التعريف به:

التعريف بإنسان معروف عند الناس باسم أو لقب أو وصف معين، بحيث لا يعرف إلا به، كأن تقول: جاء الأعمش، أو الأعمى، أو الأعرج... بشرط ألا يقصد بذلك التنقيص والاحتقار، وإلا حرم .

5- إذا كان ما تذكره من سوء فيه مصلحة غالبة أو ضرورة:

كمن يسأل عن رجل ليأتمنه على مال أو عرضه أو نحوه ، وكمن يريد تزويج إنسان أو يتزوج منه ، وقد ورد في هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم، جاءته امرأة وقالت خطبني فلان وفلان – تستشيره من تتزوج منهما – فقال النبي صلى الله عليه وسلم "أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه". وفي رواية أخرى إنه ضراب للنساء، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم الصفتين اللتين تتعلقان بهذين الصحابيين حتى قال لها انكحي أسامة رضي الله تعالى عنه.

كذلك من هذا الباب تجريح الشهود والرواة، الشاهد إذا جاء القاضي وأراد أن يعدل هذا الشاهد وسأل عنه ماذا تعرف عنه ؟ وأنت تعرف أنه فاسق

فتقول يفعل كذا ويفعل كذا ويفعل كذا ؛ لأن شهادته سيبنى عليها حكم شرعي.

ومن هذا الباب أيضا ما يفعله علماء الحديث عندما يقولون هذا الراوي مثلا كذاب وهذا متهم وهذا كذا ويذكرون بعض الصفات في بعض الرواة لأن ذكر هذه الأشياء يترتب عليها مصلحة شرعية وهي المحافظة على السنة.

ولكن هل يجوز مثل هذا إذا كان قصد الإنسان أن يخفف عليه وطأة الحزن والألم الذي في قلبه بحيث يحكي الحال التي حصلت على صديق له، وصديقه لا يمكن أن يزيل هذه المظلمة لكنه يفرج عنه أو لا؟

الظاهر أنه يجوز؛ لعموم قوله تعالى: {لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم } وهذا يقع كثيرا، فكثيرا ما يؤذى الإنسان، ويجنى عليه بجحد مال أو أخذ مال، أو ما أشبه ذلك فيأتي الرجل إلى صديقه ويقول: فلان قال في كذا، يريد أن يخفف ما في قلبه من الألم والحسرة، أو يتكلم في ذلك مع أولاده، أو مع أهله، أو مع زوجته أو ما أشبه ذلك، هذا لا بأس به؛ لأن الظالم ليس له حرمة بالنسبة للمظلوم.

سادسا /التوبة من الغيبة :

قال تعالى : "واتقو الله إن الله تواب رحيم " يأمر الله سبحانه وتعالى بتقواه لأنها الحائل بين المسلم وبين اقتحام محارم الله عز وجل فتجعل بينك وبينها وقاية يمنعك من دخولها، هذا الحاجز هو خشية الله عز وجل ومراقبته.

ولا خلاف أن الغيبة من الكبائر، وأن من اغتاب أحدا فعليه أن يتوب إلى الله عز وجل .

في المسألة ثلاثة أقوال :

1- بعض العلماء يرى أنها مظلمة، وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه، عن الحسن، قال: "كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته".

2- وبعضهم يرى أنها مظلمة وعليه الاستحلال منها، **لقول النبي صلى الله عليه وسلم "من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال ؛ فليتحلله**

منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم" الحديث. رواه البخاري

ولكن استثنى العلماء ما إذا خشي حدوث مفسدة من إخباره بأنه اغتابه، أو مات قبل تحلله، فإنه يدعو له ويذكره بخير، ويستغفر له، ويكون كفارة له

3- وهو القول الوسط، ولعله الصواب: إن كان صاحبك الذي اغتبته قد علم بذلك فلابد من أن تذهب إليه وتستحله، لأنه لن يزول ما في قلبه حتى تستحله، أما إذا لم يعلم فيكفي أن تستغفر له، وأن تثني عليه في المجالس التي كنت تغتابه فيها، والله غفور رحيم .

وينبغي لمن جاء إليه أخوه يعتذر منه أن يسامحه، ولا ينبغي أن يناقش ويرى ما الذي حصل، لأنه ربما يذكر شيئا كبيرا فتعجز نفس صاحبه عن أن يحلله، لأن النفس أمارة بالسوء، فالأولى ألا يسأل، وأن يحتسب الأجر عند الله، ويقول: هذا جاء معتذرا، ومن عفا فأجره على الله، ويرجى في المستقبل أن تعود هذه الغيبة ثناء حسنا، وهذا التفصيل هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –

سابعا / ما حكم غيبة غير المسلم ؟

غير المسلم على نوعين :

الأول :محارب للإسلام: وهذا لا حرمة له فيجوز ذكر نقائصه للتحذير منه وإضعاف هيبته.

بدليل قول الله تعالى: **(ولا ينالون من عدو نيلا)** يقال : نال منه إذا أصابه برزء ويدخل فيه كل ما يصيبهم وينقص من قوتهم وعزيمتهم ويزيد من قوة المسلمين عليهم حسا ومعنى ويدخل في ذلك ذكر نقائصهم وعيوبهم لعموم اللفظ (وهذا ما يسمى الآن بالحرب الإعلامية).

وفي البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان يوم قريظة : " اهجهم أو هاجهم وجبريل معك"

ومعنى (**اهجهم**) فعل أمر من هجا يهجو وهو الذم ومعنى (هاجهم) من المهاجاة أي جازهم بهجوهم .

الثاني : المعاهد بعقد ذمة أو أمان: كالذي يدخل إلى بلاد المسلمين بعقد وقانون يحفظ له حقوقه. (تأشيرة الدخول)، أو الذين يعيش المسلم بينهم في بلادهم بعقد عمل أو دراسة أو علاج ونحو ذلك.

وأحكام غيبة هذا النوع كأحكام غيبة المسلم لأنه بعقد الذمة وجب له ما لنا ،وعليه ما علينا ، وإن كان المسلم أشد حرمة من غيره.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة" أبو داود وقال العراقي إسناده جيد

وعلى هذا : فإن كانت غيبته بذكر عيوبه الخلقية والجبلية كطوله وقصره وضعفه وسمنه وطريقته في الحديث فإن ذلك يحرم أو يكره على أقل تقدير لما فيه من الاستهزاء بخلق الله الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى وليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش البذيء.

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم في الغيبة " **ذكرك أخاك بما يكره** " فذكر الأخ هنا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، فلا يقتصر الحكم على المسلمين فقط على الصحيح .

ثامنا / فضل من حفظ غيبة أخيه المسلم

إن من حق المسلم على أخيه المسلم أن يرد غيبته إذا اغتابه أحد أمامه، وأن يقي عرضه من المثالب، ويحوطه من ورائه، وهذا من الحقوق الواجبة التي إن فرط فيها أصابته العقوبة إن عاجلا أو آجلا .. وليس هذا الفعل – الدفاع عن أخيك في غيبته – ليس من نوافل الأفعال.

من أجل ذلك جاءت الأدلة صحيحة صريحة في فضل من يقوم بهذا الواجب؛ فقد ورد عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار**»

وعنه أنه قال: «**من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**»

فالمستمع لا يخرج من الإثم إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن خاف، وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه.

وختاما / من أقوال السلف في ذم الغيبة :

• اغتاب رجل رجلا بسوء أمام صاحبه فقال للمغتاب: أغزوت الترك؟ قال: لا، قال: أغزوت الروم؟ قال: لا، قال: سلم منك الروم والترك ولم يسلم منك أخوك!

• وروى الربيع بن صبيح أن رجلا قال للحسن : يا أبا سعيد إني أرى أقواما يحضرون مجلسك يحفظون عليك سقط كلامك ثم يحكونك ويعيبونك ، فقال : يا ابن أخي : لا يكبرن هذا عليك ، أخبرك بما هو أعجب ، قال : وما ذاك يا عم ؟ قال : أطعت نفسي في جوار الرحمن وملوك الجنان والنجاة من النيران ، ومرافقة الأنبياء ولم أطع نفسي في السمعة من الناس ، إنه لو سلم من الناس أحد لسلم منهم خالقهم الذي خلقهم فإذا لم يسلم من خلقهم فالمخلوق أجدر ألا يسلم .

• وقال جبير بن عبد الله : شهدت وهب ابن منبه وجاءه رجل فقال : إن فلانا يقع منك ، فقال وهب : أما وجد الشيطان أحدا يستخف به غيرك ؟

• وعن حاتم الأصم قال : لو أن صاحب خير جلس إليك لكنت تتحرز منه ، وكلامك يعرض على الله فلا تتحرز منه .

• واغتاب رجل عند معروف الكرخي فقال له : اذكر القطن إذا وضع على عينيك . أي عند الكفن والموت.

• وقال رجل لعمرو بن عبيد : إن الأسواري مازال يذكرك في قصصه بشر ؛ فقال له عمرو : يا هذا ، ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه ، ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره ، ولكن أعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا ، والله – تعالى – يحكم بيننا وهو خير الحاكمين

• وقال عمر بن عبد العزيز : من علم أن كلامه من عمله ، قل كلامه إلا فيما يعنيه .

• وقال رجل للفضيل ابن عياض : إن فلانا يغتابني ، قال : قد جلب لك الخير جلبا.

• وقال عبد الرحمن بن مهدي : لولا أني أكره أن يعصى الله تمنيت ألا يبقى في هذا العصر أحد إلا وقع في واغتابني فأي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته يوم القيامة لم يعملها ولم يعلم بها.

• وقال عبد الله بن محمد بن زياد : كنت عند أحمد بن حنبل فقال له رجل : يا أبا عبد الله قد اغتبتك ، فاجعلني في حل !!

قال :أنت في حل إن لم تعد ، فقلت له : أتجعله في حل يا أبا عبد الله وقد اغتابك ؟ قال : ألم ترني اشترطت عليه .

• وقال الحسن بن بشار : منذ ثلاثين سنة ما تكلمت بكلمة أحتاج أن أعتذر منها .

• وروي عن الحسن أن رجلا قال : إن فلانا قد اغتابك ، فبعث إليه طبقا من الرطب ، وقال : بلغني أنك أهديت إلي حسناتك ، فأردت أن أكافئك عليها ، فاعذرني، فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام.

• وقال عبد الله بن المبارك : قلت لسفيان الثوري : يا أبا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ، ما سمعته يغتاب عدوا له قط ، فقال : هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها .

• وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فاغتاب رجلا ، فقال له عمر : إن شئت نظرنا في أمرك ، فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية : (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية (هماز مشاء بنميم) وإن شئت عفونا عنك ؟

فقال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبدا .

- وقال الحسن البصري: والله للغيبة أسرع في دين الرجل من الأكلة في الجسد.
- وقال عمر بن الخطاب: عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء.
- قال ابن عباس: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك، فاذكر عيوبك.
- ويروى عن الحسن البصري أن رجلا قال له: تغتابني؟! فقال: ما بلغ قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي.
- وروي عن ابن المبارك أنه قال: لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدي؛ لأنهما أحق بحسناتي.
- وقال وهب: نذرت أني كلما اغتبت إنسانا أن أصوم يوما، فأجهدني، فكنت أغتاب وأصوم، فنويت أني كلما اغتبت إنسانا أن أتصدق بدرهم، فمن حب الدراهم تركت الغيبة.
- وقيل للربيع بن خثيم: ما نراك تعيب أحدا؟ فقال: لست عن نفسي راضيا فأتفرغ لذم الناس؟!
- وقال الإمام مالك: أدركت بهذه البلدة – يعني المدينة – أقواما ليس لهم عيوب فعابوا الناس فصارت لهم عيوب، وأدركت بهذه البلدة أقواما كانت لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم.

أهم ما يستفاد من الآية:

1. الغيبة هي ذكر المسلم أخاه بما يكرهه في غيبته سواء في خلقه أو خلقه أو نسبه أو دينه أو دنياه.
2. الغيبة تشمل الكلام الصريح والتلميح، والإشارة والإيماء والكتابة والمحاكاة.
3. الغيبة أشد من البهتان إن كانت كذبًا، وأشد من النميمة إن كانت تثير الفتنة.

4. من صور الغيبة: السخرية من الشكل، أو الاحتقار بسبب النسب أو المال أو العمل.

5. الغيبة بالقول والفعل والإشارة محرمة وتشمل كل وسيلة توصل المعنى.

6. الغيبة محرّمة بالقرآن والسنة وهي من كبائر الذنوب.

7. الغيبة تنقض الأخوة الإيمانية وتسبب العداوة والكراهية.

8. قلة الورع والخوف من الله تؤدي إلى الوقوع في الغيبة.

9. الغضب والرغبة في الانتقام قد تدفع الإنسان للغيبة.

10. مجاراة الأصدقاء والمجالس الفاسدة تجر الإنسان إلى الغيبة.

11. الحسد وحب الشهرة يدفعان البعض للطعن في غيرهم.

12. رفع النفس عبر تنقيص الآخرين سبب خفيّ للغيبة.

13. تذكر أن الغيبة تهدي الحسنات لمن تكرهه وتنقل السيئات إليك.

14. الانشغال بعيوب النفس يمنع من الوقوع في عيوب الآخرين.

15. مصاحبة الصالحين ومفارقة أهل الغيبة من وسائل النجاة.

16. الغيبة من الكبائر والتوبة منها واجبة.

17. من علم أنه اغتاب إنسانًا ولم يعلم بذلك يكفي أن يستغفر له.

18. من علم أن من اغتابه يعلم بذلك فعليه أن يتحلله ويطلب العفو منه.

19. من جاءه معتذرًا بسبب غيبته فعليه أن يسامح ويحتسب الأجر عند الله.

20. غيبة المحارب للإسلام جائزة شرعًا للتحذير والرد عليه.

21. غيبة غير المسلم المعاهد محرّمة كالغيبة في حق المسلم.

22. من رد عن عرض أخيه المسلم حرّمه الله على النار.

23. الدفاع عن المسلم في غيبته من حقوق الأخوة الإيمانية.

24. السكوت عن الغيبة مشاركة فيها إلا مع إنكار بالقلب أو اللسان.

****

الفصل التاسع

{إن أكرمكم عند الله أتقاكم }

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]

الفصل التاسع

{إن أكرمكم عند الله أتقاكم }

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]

سبب نزول الآية :

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما :لما كان فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً حتى علا على ظهر الكعبة فأذّن ، فقال الحارث بن هشام : ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً ؟

وقال عتاب بن أسيد : الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم.

وقال سهيل بن عمرو : إن يرد الله شيئاً بغيره.

وقال أبو سفيان : أنا لا أقول شيئاً ، أخاف أن يخبره به رب السموات.

فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية. [17]

مناسبة الآية لما قبلها:

وردت هذه الآية الكريمة بعد النهي عن التجسس والغيبة وغيرها من الأخلاق الذميمة ، فجاءت هذه الآية منبهة على تساوي البشر ، فلا يجوز لأحد أن يفخر على أحد ولا ينتقص أحداً أو يعيبه لأن تلك المفاخر النسبية لا مكان لها؛ لأن أصل خلقة الجميع من ذكر وأنثى.

---

(17) السند الذي يروى به هذا الأثر عن ابن عباس ضعيف فيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف في الحديث، قال عنه أحمد بن حنبل *ليس بشيء*.وقال عنه ابن معين *ليس بثقة*.وبعض الطرق فيها انقطاع، أو رواة مجهولون، أو ضعفاء لم يُوثّقوا. وقال الشوكاني في "فتح القدير:" بعد ذكر القصة، ولا يصح من ذلك شيء مرفوع."

وبتقرير هذا المبدأ ينتفي في ذهن المرء أي داعٍ من دواعي الاستعلاء على الغير من حيث صورة خلقه ونسبته البشرية، فينهدم ركن من أركان التفاضل الموهوم الذي قد يسوغ للبعض استحلال عرض أخيه بغيبة أو نميمة أو تجسس أو سخرية أو تنابز ولمز ونحوه.

معنى الآية الكريمة:

{**يا أيها الناس** } والنداء هنا للناس جميعا، مع أن أول السورة وجه الخطاب فيه للذين آمنوا، وسبب ذلك أن الآية ذكر فيها {**إنا خلقناكم من ذكر وأنثى** } وهذا أمر يعم جميع الناس أما النداء بـ(**يا أيها الذين آمنوا**) فإنه يشتمل على أوامر ونواهٍ فخوطب بذلك أهل الإيمان الذين يمتثلون للأوامر والنواهي.

{**إنا خلقناكم من ذكر وأنثى** } من ذكر هو آدم، وأنثى هي حواء وهذا الأصل لا تفاوت فيه بين الناس كلهم فهم فيه سواء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (**كلكم لآدم**)

{**وجعلنكم شعوباً** } جمع شعب (بفتح الشين) الشعب الأصول التي يتشعب (يتفرق) منها القبائل.

{**وقبائل** } فالله تعالى جعل بني آدم شعوباً وهم أصول القبائل، وقبائل وهم ما دون الشعوب، فمثلاً بنو تميم يعتبرون شعباً، وأفخاذ بني تميم المتفرعون من الأصل يسمون قبائل.

{ **لتعارفوا** } أي: لا لتفاخروا بالأحساب والأنساب ؛ أي جعلناكم شعوباً حتى تُعرفوا ، حتى إذا جئت يقال هذا من شعب كذا وكذا ، وهذا من القبيلة الفلانية { **لتعارفوا** } أي ليحصل بينكم تعارف.

ثم بين الله سبحانه وتعالى الميزان الحقيقي الذي على الناس أن يتنافسوا فيه وهو الذي تكون به درجاتهم ومنزلتهم عند الله سبحانه وتعالى

{**إن أكرمكم عند الله أتقاكم** } ليس صاحب المال ولا الجمال ولا الجاه ولا السلطان ولكن الكريم عند الله سبحانه وتعالى هو التقي.

{**إن الله عليم** } عليم بكل شيء.

(خبير) الخبرة هي العلم ببواطن الأمور، والعلم بالظواهر لا شك أنه صفة مدح وكمال، لكن العلم بالبواطن أبلغ، فيكون عليم بالظواهر، وخبير بالبواطن.

والمعنى أن الله هو الذي يعلم التقي ويعلم الصالح ويعلم المفسد من المصلح فما في القلوب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى والتقوى ميزان التكريم.

اشتملت الآية الكريمة على عدة موضوعات:

أولاً: الإسلام دين لا يعرف العنصرية

ثانيا / ذم التفاخر بالأنساب

ثالثا / الكرامة عند الله بالتقوى

أولاً: الإسلام دين لا يعرف العنصرية

العنصرية مصدر صناعي من العنصر الذي هو الأصل والنسب، والعنصرية هي التمييز بين الناس على أساس عنصرهم أو أصلهم أو لونهم... أو جهتهم.. ومعاملتهم على ذلك الأساس.

والعنصري هو الذي يفضّل عنصره على غيره من عناصر البشر ويتعصب له، وأول من نادى بها هو إبليس عليه لعنة الله تعالى حيث قال: **(أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)** [سورة ص:76]

وهي من آثار الجاهلية الأولى التي قضى عليها الإسلام وحذر من التفاخر بها والتعامل على أساسها ، فالإسلام قد جاء رافضاً كلَّ أشكال التمييز العنصري بين البشر جميعاً بسبب الجنس أو اللون أو العِرْق أو النوع، وقرَّر أن الناس جميعاً سواء لا تفاضل ولا تمايز بينهم إلاَّ بالتقوى.

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الأمر واضحا جليا في حجة الوداع حينما قال : **(يا أيها الناس ! ألا إن ربكم واحد ، ألا إن ربكم واحد ، ألا لا فضل لعجمي على عربي ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب)**

وربى النبي أصحابه على هذا المبدأ العظيم:

عن المعرور بن سويد قال لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال إني ساببت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم :(يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم) رواه البخاري

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار – أي ضربه على دبره – فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين !!!

فسمعها الله رسوله صلى الله عليه وسلم قال : ما هذا ؟ فقالوا كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعوها فإنها منتنة) رواه البخاري ومسلم.

ولما تفاخر الناس بآبائهم تفاخر سلمان الفارسي رضي الله عنه بانتسابه للإسلام فقال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وبهذه الروح انطلق الصحابة كأمواج البحر الطاهرة فغسلوا الأرض من دنس الشرك والكبر والقهر والظلم والعنصرية ، وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها ودانت لهم الدنيا بالطاعة ، وما عرف أن أمة توحدت وارتبطت حتى كانت كجسم واحد رغم تفاوت أجناسها ولغاتها ، إلا أمة الإسلام.

وهذا هو السر في انتشار الإسلام في جميع أنحاء العالم ، فالناس فيه سواسية كأسنان المشط لا يتفاضلون عند الله إلا بالتقوى.

وبعد ثلاثة عشر قرناً من الزمن عرفت الأمم هذا المبدأ وفخرت به وظنت أنها وقعت على شيء جديد لم يعرف من قبل ، وتجاهلت أن الإسلام العظيم قد جاء بهذه المثل العليا قبل زمن طويل في وقت كان البشر غارقين في

العبودية بل وتقديس الطغيان ، فجاء الإسلام العظيم بهدم مزايا الأجناس، والظلم، وإلغاء الفروق الجنسية ، والتمييز العنصري، والتعويل على التقوى ، والعمل الصالح وحدهما.

ثانيا / ذم التفاخر بالأنساب

إنّ من آيات الله عزّ وجلّ أن خلق الناس مختلفين في كثير من الأمور، فكلٌّ له طباعه وأخلاقه وتصرّفاته التي تختلف عن غيره.

كما أنّهم ليسوا متساوين في أنسابهم وأعراقهم وأوضاعهم المادية ، ولله عزّ وجلّ حكمة في ذلك، ولكن هذا الاختلاف لا يعني أفضلية أحد على أحد.

فليس الغني بأفضل من الفقير، ولا ذو الحسب والنسب بأفضل من ذي النشأة المتواضعة، لأنّ كلَّ ما يتمتع به المرء هو رزق من عند الله عزّ وجلّ يهبه لمن يشاء من عباده، والأفضلية أساسها التقوى، إلا أنّ بعض الناس قد يجعل من نسبه أو وضعه الاجتماعي أو المادي مصدراً للفخر والمباهاة ، وقد نهى ديننا الحنيف عن التفاخر والتعالي على الناس بسبب النسب، وجعله من بقايا الجاهلية.

وقد وردت أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم في النهي عن الفخر مثل قوله : « **إن الله عز وجل أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس بنو آدم وآدم من تراب مؤمن تقي وفاجر شقي، لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها » حسنه الألباني**.

الجعلان : بكسر الجيم وسكون العين جمع جعل (بضم ففتح) دويبة سوداء يقال لها في مصر الخنفساء توجد كثيرا في مراح البقر والجاموس ومواضع الروث ومن شأنها جمع النجاسة وادخارها ومن عجيب أمرها أنها تموت من ريح الورد وريح الطيب.

والمعنى أن أحد الأمرين واقع البتة: إما الانتهاء عن الافتخار، أو كونهم أذل عند الله تعالى من الجعلان الموصوفة.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**إن الله قد أذهب عنكم عُبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب)**

وقوله: عِبِّيَّة أو عُبِّيَّة الجاهلية يعني الكبر والتفاخر، قال بعضهم: مأخوذ من عباب الماء إذا ارتفع، والمتكبر يرتفع على الآخرين.

إن كثيرا من الناس قد انقلبت عندهم الموازين فصاروا يفاضلون بين الرجال بملابسهم أو ألوانهم أو وظائفهم دون النظر إلى الدين والتقوى، وهذا ولا شك من الخلل البين والانحراف عن الصواب في ميزان الرجال، ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الاتكال على هذه الأمور وترك العمل الصالح الذي يرفع صاحبه عند ربه تعالى، فقال صلى الله عليه وسلم: **(يا بني هاشم لا يأتيني الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم)**

وقال صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضي الله عنها : "يا فاطمة اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا".

وأخبر- صلى الله عليه وسلم- ببقاء هذا الفخر في أمته في قوله صلى الله عليه وسلم: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالأنواء، والنياحة)

فجعل من أمر الجاهلية الفخر بالأحساب وجعل منها الطعن في الأنساب، ولا شك أن ذكر الجاهلية يعد تنفيرا من هذه الخصال.

فالتفاخر بأفعال الآباء والأجداد لا يفيد الإنسان إنما يفيده فعله وعمله هو؛ ولهذا يوبخ من يفتخر بآبائه يقول بعضهم:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب**

أي إذا اكتسبت أدبا واكتسبت علما أغناك عن أن تقول أنا ابن فلان أو آبائي فيهم كذا وكذا فلا فخر إلا بالتقوى.

كما جاء عن علي رضي الله تعالى عنه:

الناس من جهة التمثيل أكفاء   أبوهم آدم والأم حواء

فإن يكن لهم من أصلهم نسب   يفاخرون به فالطين والماء

اضرب ابن الأكرمين:

جاء رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم !!

قال: عذت معاذ. قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين.

فكتب عمر إلى عمرو بن العاص رضي الله عنهما، يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه، فقدم. فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين.. ثم قال للمصري: ضع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه، فقال عمر لعمرو: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".[18]

ثالثا / الكرامة عند الله بالتقوى

لا مجال في الإسلام لعصبية العرق، ولا لعصبية الأرض، ولا لعصبية الوطن، ولا لعصبية الجنس، ولا لعصبية اللون، ولا لعصبية اللغة، إن كل هذه الرايات لا مجال لها أن ترفرف في سماء الإسلام، كل هذه الموازين إلى زوال، وكل هذه القيم إلى فناء، إن الميزان الحقيقي الذي يخفض ويرفع، إنما هو ميزان التقوى، كما قال الصادق الذي لا ينطق عن الهوى: **(إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)** رواه مسلم

هذا هو الميزان، وهذا هو المقياس الذي يخفض ويرفع، عند رب الناس جل وعلا ، الأتقى لله هو الأكرم عند الله – عز وجل – وإذا سقط التفاخر

---

[18] انظر *فتح مصر وأخبارها* "لابن عبد الحكم (ص: 290) وسير *أعلام النبلاء* "للذهبي (3/331) وهي من الروايات المشهورة في كتب الأدب والتاريخ، ولكنها لم تثبت بسند صحيح وهذا مما يتسامح فيه عند العلماء للوعظ والتذكير.

بالأنساب، فسقوط غيره مما يتفاخر فيه الناس من أمور الدنيا من باب أولى، وتبقى التقوى هي ميدان التنافس والعمل.

والتقوى لا تنال بالأنساب ولا بالأموال وإنما تنال بطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبالأعمال الصالحة ، فمن الممكن أن يكون أي شخص من الناس هو الأكرم عند الله.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الناس أكرم ؟

قال : " أكرمهم عند الله أتقاهم "

قالوا : ليس عن هذا نسألك

قال : " فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله "

قالوا : ليس عن هذا نسألك

قال : " فعن معادن العرب تسألون ؟

قالوا : نعم ، قال : خيارهم في الجاهلية ، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا .رواه البخاري

ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحقيقة كثيرا، فتراه صلى الله عليه وسلم جالسا بين أصحابه فيمر عليهم رجل فيقول:

ما تقولون في هذا؟"

قالوا: حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يسمع

فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: " ما تقولون في هذا؟

قالوا: حري إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يسمع

فقال صلى الله عليه وسلم: " إن هذا خير من ملء الأرض من هذا"

أمثلة على ذلك:

أبو لهب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من كبار رجال مكة حسباً وشرفاً ومالاً ، ولكنه لم يؤمن برسالة الإسلام ، بل وقف حائلاً دون انتشارها ومنفراً عنها هو وزوجته أم جميل ، أنزل الله تعالى فيه : " تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد " فلم تنفعه قرابته ولم يشفع له نسبه.

وهذا بلال الحبشي المولى الفقير والعبد الضعيف ليس له قبيلة ولا عشيرة ، ولم يكن عربياً ولا قرشياً ولا مكياً ، بل كان عبداً حبشياً ، آمن برسالة الإسلام ، واتبع محمداً خير الأنام حتى أصبح يدعو إلى الله خمس مرات في اليوم مؤذناً بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي يوم أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا بلال ، حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة . قال : ما عملت عملا أرجى عندي : أني لم أتطهر طهورا ، في ساعة ليل أو نهار ، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي.

إنه بلال الذي علا فوق الثريا؛ لا يعرف له شرف نسب، ولا جاه ولا سلطان، إنما يعرف بسابقته في الإسلام وصحبته للرسول صلى الله عليه وسلم وصلاحه وجهاده، وهل بعد هذا من شرف؟!

فهذه الدرجة التي نالها بلال وصلها بإيمانه وتقواه ، وتلك الدرجة التي وصل إليها أبو لهب بكفره وعناده.

وصدق والله القائل:

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه   فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارس   وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

ولما تسلق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نخلة انكشفت ساقه فضحك بعض الصحابة من دقتها **قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "تعجبون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد ".**

وعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قوله لسعد بن أبي وقاص خال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "يا سعد بن وهيب لا يغرنك من الله أن قيل: خال رسول الله، وصاحب رسول الله، فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن. فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة".

وأختم بقول ابن القيم :إن أكرم الخلق عند الله أتقاهم ، وأقربهم منه منزلة أطوعهم له ، وعلى قدر طاعة العبد تكون له منزلته عنده ، فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينه ، فأسقطه من قلوب عباده ، وإذا لم يبق له جاه عند الخلق وهان عليهم عاملوه على حسب ذلك ، فعاش بينهم أسوأ عيش خامل الذكر ، ساقط القدر.

أهم ما يستفاد من الآية:

1. أصل الناس جميعًا واحد فلا فضل لأحد على أحد في النسب.
2. تنوع الشعوب والقبائل هدفه التعارف لا التفاخر.
3. معيار التفاضل الحقيقي عند الله هو التقوى لا النسب ولا المال.
4. الإسلام ألغى كل أشكال العنصرية والتمييز العرقي.
5. دعوات الجاهلية كالتفاخر بالأنساب والعصبية القبلية مذمومة شرعًا.
6. لا ينفع النسب إذا لم يصحبه عمل صالح وطاعة لله.
7. كرامة الإنسان عند الله تقاس بطاعته لا بجاهه أو مظهره.
8. الإسلام سبق العالم في تقرير مبدأ المساواة الإنسانية.
9. تطبيق مبدأ التقوى يؤدي إلى وحدة الأمة وتماسكها.
10. الله وحده يعلم القلوب ويعلم من هو الأتقى.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم تقواه

وأن يجعلنا من أحب خلقه إليه،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل العاشر

الإسلام والإيمان

قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: 14]

الفصل العاشر

الإسلام والإيمان

قال تعالى:﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 14]

سبب نزول الآية:

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إن نفراً من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة [19]، فأظهروا الشهادة وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارها، وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والذراري، يريدون الصدقة ، ويمنون عليه صلى الله عليه وسلم بإسلامهم، فنزلت هذه الآية الكريمة. [20]

فأمره الله سبحانه أن يخبرهم بذلك ليكون معجزة له صلى الله عليه وسلم ، فقال : (قل لم تؤمنوا) أي لم تصدقوا على الحقيقة في الباطن " ولكن قولوا : "أسلمنا."

معني الآية الكريمة:

{قالت الأَعراب آمنا } الأعراب اسم جمع لأعرابي، والأعرابي هو ساكن البادية كالبدوي تماماً ،جاءوا إلى النبي فقالوا آمنا آمنا، افتخروا بإيمانهم، فقال لهم الله – عز وجل -:**{قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم }** فهم كانوا ضعفاء الإيمان، ، وليسوا بمنافقين على الراجح ، ولو كانوا منافقين – كما ذكر بعض العلماء كالبخاري – لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة التوبة.

---

[19] ليس فيها مطر.

[20] ذكر هذه الرواية ابن جرير الطبري في تفسيره (تفسير الطبري)، وهي من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهذا الإسناد منقطع لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، لكنه كثيراً ما يُستأنس به في التفسير.

فقوله (**قل لم تؤمنوا**)يعني لم تصدقوا أقوالكم بأعمالكم.

قوله: {**ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** } أي لما يدخل الإيمان الدخول الكامل المطلق، ففيهم إيمان لكن لم يصل الإيمان في قلوبهم على وجه الكمال.

وقوله { **ولما يدخل** } ولم يقل: **(ولم يدخل)**، قال العلماء: إذا أتت (لما) بدل (لم) كان ذلك دليلاً على قرب وقوع ما دخلت عليه، فمثلاً إذا قلت: (فلان لمّا يدخلها) أي أنه قريب منها، ومنه قوله تعالى: {**بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب** } أي لم يذوقوه، ولكنهم قريبون منه، وهنا قال: **(ولما يدخل)** أي لم يدخل الإيمان في قلوبهم بعد، ولكنه قريب من الدخول.

فقوله: (وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) يدل على أن دخول الإيمان منتظر منهم، فإن الذي يدخل في الإسلام ابتداء لا يكون قد حصل في قلبه إيمان، لكنه يحصل فيما بعد.

وفي الحديث عن أنس قال :"كان الرجل إذا أسلم علَّمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو قومه، وكان الرجل يُسلم رغبة في الدنيا، فما يُمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه مما طلعت عليه الشمس." قال الحافظ ابن حجر في الفتح كتاب المغازي :"رواه أحمد بسند حسن."

ولهذا كان عامة الذين أَسْلَمُوا رغبة أو رهبة دخل الإيمان في قلوبهم بعد ذلك.

قوله {وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمـلكم شيئاً } إن أطعتم الله ورسوله بالقيام بأمره واجتناب نهيه فإنه لن ينقصكم من أعمالكم شيئاً ، فالسيئات يمكن أن تمحى، والحسنات لا تنقص.

ولهذا قال: {لا يلتكم من أعمـلكم شيئاً } أي لا ينقصكم.

{**إن الله غفور رحيم**} ختم الآية بالمغفرة والرحمة، إشارة إلى أن هؤلاء الذين قالوا إنهم آمنوا، قريبون من المغفرة والرحمة، لم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولكنه قريب من دخوله.

تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15]

إنما أداة حصر تفيد إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما سواه، أي ما المؤمنون إلا هؤلاء ، والمراد: المؤمنون حقًّا الذين تم إيمانهم هؤلاء وحدهم الذين آمنوا بالله ورسوله.

وقوله تعالى (لم يرتابوا) أصله رابه أي أوقعه في الشك والتهمة.

(وجاهَدوا)المجاهدة : معناها استفراغ الجهد في مدافعة العدو ، والجهاد يشمل جهاد العدو الظاهر وجهاد النفس.

{ أولئك هم الصادقون } في إيمانهم وعدم ارتيابهم.

اشتملت الآية الكريمة على:

- قضية الإسلام والإيمان.
- المؤمنون الصادقون.

أولا / الإسلام والإيمان

الإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة والخلاص من الشرك.

والإيمان هو: التصديق بالقلب الذي يتبعه العمل، أو كما قال العلماء: القول باللسان، والتصديق بالجنان(بالقلب)، والعمل بالجوارح والأركان.

ولا يكون المرء مؤمنا إلا إذا كان مسلما، فيجتمع فيه عمل القلب – وهو الإيمان – وعمل الجوارح وهو الإسلام.

ويدل على ذلك حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالاً ولم يعط رجلاً منهم شيئاً . فقال سعد رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله ، أعطيت فلاناً وفلاناً ولم تعط فلاناً شيئاً وهو مؤمن. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أو مسلم ؟

حتى أعادها سعد ثلاثاً : والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أو مسلم ؟ ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إني لأعطي رجالاً وأدع من هو أحب إليّ منهم فلم أعطه مخافة أن يكبوا في النار على وجوههم.) رواه البخاري

فقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمن والمسلم فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام والإسلام أعم وأشمل

كلام ابن تيمية في تعريف الإسلام والإيمان

قال ـرحمه الله-: الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين دينا، إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله، وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له، والعبودية له، هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم، فالإسلام في الأصل من باب العمل، عمل القلب والجوارح.

وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب، والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له . [21]

اجتماع الإسلام والإيمان وافتراقهما

في هذه الآية الكريمة فرق بين الإسلام والإيمان، وكذلك في حديث جبريل عليه السلام فرق بين الإسلام والإيمان، **ففي حديث جبريل عليه السلام لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام قال: (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ». وفي الإيمان قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره)**

ففرق بين الإسلام والإيمان، وفي أدلة أخرى يجعل الله الإيمان هو الإسلام، والإسلام هو الإيمان، فهل في هذا تناقض؟

---

[21] كتاب الإيمان ص249

والجواب: كلا، فإذا قرن الإسلام بالإيمان صارا شيئين، وإذا ذكر الإسلام وحده، أو الإيمان وحده صارا بمعنى واحد، ولهذا نظائر في اللغة العربية كثيرة.

ولهذا قال أهل السنة والجماعة: إن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا، يعني إذا ذُكرا في سياق واحد فهما شيئان، وإذا ذُكر أحدهما دون الآخر فهما شيء واحد.

أمثلة للتوضيح:

قوله – تعالى -: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)** فيشمل الإيمان والإسلام.

ومثل قوله – تعالى -: **(وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)** [آل عمران :102] أي مسلمون مؤمنون.

ويدل على هذا أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم عدد أعمالاً هي من الإسلام، وجعلها من الإيمان فقال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله» مع أنها من الإسلام، قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله». «وأدناها إماطة الأذى عن الطريق».**

وإماطة الأذى عن الطريق من الإسلام؛ لأنها عمل، والأعمال جوارح «**والحياء شعبة من الإيمان**» وهذا في القلب، فالمهم الإيمان والإسلام إذا افترقا فهما شيء واحد، وإن اجتمعا فهما شيئان.

قوله تعالى : (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) [الذاريات:35، 36]

نلاحظ أنه عندما ذكر الإخراج قال: من المؤمنين، وفي التالية قال: المسلمين ؟ ما سر التغاير ؟

الآية موافقة لهذا المعنى في وصف أهل بيت لوط عليه السلام مرة بالإيمان ومرة أخرى بالإسلام.

فالمراد بالإسلام هنا الإسلام الظاهر ، والإيمان هو الإيمان القلبي الحقيقي ، فلما وصف الله تعالى أهل البيت جميعاً وصفهم بالإسلام ، وذلك لأن امرأة

لوط عليه السلام من أهل بيته ، وكانت مسلمة في الظاهر ، كافرة في حقيقة الأمر، ولما وصف الله تعالى المخرجين الناجين وصفهم بالإيمان .

(فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) [الذاريات:35، 36]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"امرأة لوط كانت منافقةً كافرةً في الباطن ، وكانت مسلمة في الظاهر مع زوجها ، ولهذا عُذِّبت بعذاب قومِها . فهذه حال المنافقين الذين كانوا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستسلمين له فيَ الظاهر ، وهم في الباطن غير مؤمنين" [22]

ثانيا / المؤمنون الصادقون:

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ **[الحجرات: 15]**

في الآية بيان لحقيقة الإيمان وصفة المؤمنين الصادقين قولاً وعملاً فالإيمان ليس كلمة تقال وإنما قول يتبعه عمل .

فالمعنى : ليس الإيمان ما زعمتم وظننتم من قول لا يوافقه عقد القلب وادعاء لا تصدقه الأعمال ولم تشهد له الطاعة بالبرهان ، بل الإيمان الحق عند الله تعالى، إنما هو التصديق الذي لا أثر فيه للشك بل هو يملأ القلب فتظهر ثمراته على الجوارح بالطاعة ، وأداء ما فرضه عز وجل من التكاليف البدنية كالصلاة والصوم والتكاليف المالية كالزكاة والحج ، والتضحية بالنفس، والمال في سبيل الله؛ من أجل إعلاء كلمة الله تعالى ، وتمكين الحق ، ودفع البغي، فهؤلاء المتصفون بهذه الخصال العاملون لها هم الصادقون إذا قالوا آمنا.

---

[22] جامع المسائل" (6/221)

الإيمان يقين لا يعتريه الشك:

الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن؛ فكيف إذا دخله الشك ، فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا ، أي لم يشكوا ، فأما المرتاب فهو من المنافقين.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة "

وفي رواية لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيُحجب عن الجنة ".

وفيه عنه رضي الله عنه من حديث طويل أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه بنعليه فقال " من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة "

فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها ، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

فمجرد القول والمعرفة ليس كافياً، بل لابد من القبول واليقين الذي لا يعتريه شك، والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن عمه أبي طالب أنه في النار، وذلك مع أنه يعرف صدق الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان يقول:

ولقد علمت أن دين محمد —— خير أديان البرية دينا

لكنه والعياذ بالله لم يقبل هذا الدين، ولم يذعن له، وكان آخر ما قال: إنه على الشرك على ملة عبد المطلب ، فالذين آمنوا بالله ورسوله، هم الذين أقروا إقراراً تامًّا.

فالمؤمنون الصادقون استمروا على التصديق والإذعان للحق ولنبي الحق صلى الله عليه وسلم ولم يعترضهم الريب والشك بعد ذلك ، لأن المؤمن قد يبتلى بمن يضلله ويقذف في قلبه الشك من شياطين الإنس والجن الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً.

فالمؤمنون الأطهار يبتعدون عن مثل هؤلاء المفسدين المشككين للناس في عقائدهم ، ولذلك فهم المؤمنون الصادقون الذين رضي الله عنهم وأرضاهم وثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا ، والآخرة ، وهم المجاهدون بأنفسهم وأموالهم والمرابطون على الثغور حماية لبلاد الإسلام وأمة الإسلام ، وهذا هو الجهاد بالنفس ، أما الجهاد بالمال فيشتمل على جميع النفقات التي تبذل لنشر دين الإسلام.

والجهاد الحق هو الجهاد الخالص لوجه الله تعالى ولإعلاء كلمة الله وحده لا يقصد من ورائه مغنم دنيوي

عن أبي موسى أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، الرجل يقاتل حمية ، والرجل يقاتل للمغنم والذكر ، فمن في سبيل ، فقال صلى الله عليه وسلم : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله. "

فإذا اختلطت نية الجهاد بمقصد آخر كحب الظهور والشهرة بين الناس في الشجاعة أو لكسب المغانم والأموال فليس له جزاء عند الله تعالى؛ بل يحبط عمله لأنه لم يخلص لوجه الله تبارك وتعالى.

ويمكن أن تعتبر الآيتان اللتان وردتا في سورة الممتحنة دستور الإسلام في القتال: **قال تعالى :** ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 8-9]

هل الوساوس تنافي اليقين في الإيمان ؟

الوساوس التي يلقيها الشيطان في قلب المسلم ، عليه أن يستعيذ منها بالله من الشيطان الرجيم، وينتهي، ويعرض عن هذا، ولا يفكر فيه إطلاقاً، وقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن مثل هذه الوساوس صريح الإيمان، أي خالص الإيمان، لأن الشيطان لا يأتي للإنسان الشاك يشككه في دينه، وإنما

يأتي لإنسان ثابت مستقر، ليشككه في دينه، فيفسده عليه ، فالمؤمن الذي استقر الإيمان في قلبه واطمأن قلبه بالإيمان هو الذي يأتيه الشيطان ليفسد عليه، أما من ليس بمؤمن فإن الشيطان لا يأتيه بمثل هذه الوساوس، لأنه منته منه.

أهم ما يستفاد من الآيات:

1. الإسلام هو الاستسلام الظاهر لله بالطاعة بينما الإيمان هو التصديق القلبي الذي يتبعه العمل.
2. الإسلام أعم والإيمان أخص فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا.
3. الأعراب الذين ادعوا الإيمان لم يكن في قلوبهم إيمان كامل وإنما كان إسلاما ظاهرا.
4. استخدام (لما يدخل الإيمان) يدل على قرب تحقق الإيمان في قلوبهم وأنهم على طريق الخير.
5. الفرق بين المسلم والمؤمن يظهر في المواقف والنيات والطاعة والإخلاص.
6. الله لا يضيع عمل المطيعين وإن كانوا في بداية الطريق فهو غفور رحيم.
7. الإيمان الحقيقي يتطلب تصديقا ويقينا بلا شك يتبعه جهاد بالمال والنفس.
8. المؤمن الصادق لا يشك في دينه بل يطمئن به ويجاهد في سبيله.
9. مجرد النطق بالشهادتين لا يكفي للدخول في زمرة المؤمنين حتى يتحقق التصديق القلبي والعمل.
10. الوساوس لا تنافي الإيمان بل هي دليل عليه لأن الشيطان لا يوسوس إلا لقلب عامر بالإيمان.
11. الإيمان يعلو على النسب والجاه والمظاهر فالله يطلع إلى القلوب لا الأجساد.

12. الجهاد في سبيل الله هو المعيار العملي لصدق الإيمان بشرط أن يكون خالصا لله لا لمغنم أو شهرة.

13. لا يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله بيقين لا يعتريه شك.

14. النفاق يظهر في الشك والارتياب أما الإيمان الحق فلا يخالطه تردد.

15. الإسلام يشمل الظاهر من الطاعات أما الإيمان فيشمل الباطن من التصديق والإذعان.

16. القتال لا يكون في سبيل الله إلا إذا كان لإعلاء كلمة الله؛ لا لأهداف دنيوية.

****

الفصل الحادي عشر

يمنون عليك أن أسلموا

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: 16-18]

الفصل الحادي عشر

يمنون عليك أن أسلموا

قال تعالى : ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 16]

(قل أتعلمون الله) أي أتخبرون الله ، وهذا إنكار لقول الذين قالوا آمنا، يعني أتعلمون الله تعالى بأنكم آمنتم وهو عليم بكل شيء.

والمعنى : قل لهم أيها الرسول: أتخبرون اللَّه بما في ضمائركم من الدين، ليعلم بذل[23]ك حيث قلتم: آمنا ؟ واللَّه عالم لا يخفى عليه شيء، يعلم كل ما في السموات وما في الأرض من جمادات ونباتات وحيوانات وإنس وجن، فكيف يجهل حقيقة ما تدّعونه من الإيمان؟ واللَّه لا تخفى عليه خافية من ذلك، يعلم بكل شيء، فاحذروا أن تدّعوا شيئا خلاف ما في قلوبكم.

قوله تعالى : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: 17]

سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : جاءت بنو أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أسلمنا وقاتلنا العرب ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ، فنزلت هذه الآية الكريمة: " يمنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا علي إسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ، إن كنتم صادقين ". (24)

23

(24) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهذا الإسناد فيه انقطاع لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، لكنه مقبول في التفسير كما قرره العلماء.

(يمنون) منّ عليه: ذكره بإحسانه ، والمنة هي النعمة الثقيلة ، والمن لا يكون إلا لله فهو صاحب العطاء والفضل أما المن من العبد فهو مذموم، والمقصود به ذكر المنة للمنعم عليه على سبيل الفخر والتعيير له.

وقوله: {بل الله يمن عليكم } أي ليس لكم منة على الرسول بإسلامكم، بل المنة لله – عز وجل – عليكم أن هداكم للإيمان، ولا شك أن هذا أعظم منة أن يمن الله على العبد بالهداية إلى الإيمان .

وقوله: {إن كنتم صادقين } أي إن كنتم من ذوي الصدق القائلين بالصدق، فإن المنة لله عليكم.

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: 18]

أخبر الله في هذه الآية أنه يعلم كل ما غاب في السموات والأرض، وما ظهر فهو من باب أولى، وأخبر – عز وجل – أن من جملة ما يعلمه عمل بني آدم، ولهذا قال:

{والله بصير بما تعملون } وهذه الآية تفيد الترهيب من العمل السيىء؛ لأن العبد سيجازى عليه؛ لأن الكل معلوم عند الله عز وجل، نسأل الله تعالى أن يمن علينا بالهداية والتوفيق.

نسبة المنة والفضل لله في الهداية

المنّ حقيقة بالفعل لا يليق إلا لله فهو صاحب الفضل والعطاء والإنعام أن يعطيك، ويملكك الكثير من النعم العظيمة ، أما المنّ بالقول فيفعله الجهلة المغترون بما آتاهم الله .

هناك مَن يمنّ عليك، يقول لك: أنا أطعمتك أنا أعطيتك...، هذا منٌ بالقول، وهو مستقبح، ومبطل للأجر ، إلا إذا كُفرت النعمة كما قال النبي حينما وجد الأنصار على أنفسهم في لعاعة من الدنيا تألف النبي بها قوماً ليسلموا، ووكلهم إلى إسلامهم، فَقَالَ لِلأَنْصَارِ " :**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ**

ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي ، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي " ، كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا ، قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنّ"

فلذلك المنّ مقبول ؛ حينما ينسى الإنسان الخير، فيذكره غيرُه به.

ومن أسماء الله تعالى المنان:

عن أنس: أنَّه كان مع رسول جالسًا ورجل يصلِّي ثم دعا: **اللَّهم إنِّي أسألك بأنَّ لك الحمد لا إله إلا أنت المنَّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لقد دعا اللهَ باسمِه العظيم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أَعطى) رواه .أبو داود وصححه الألباني**

ومعناه : هو المنعم المعطي ، الذي يدر العطاء على عباده منّا عليهم بذلك وتفضلا.

المن كمال لله نقص في حق العبد:

فهذه الصفة في حقه تعالى صفة كمال، وفي حق المخلوق، – بهذا المعنى – صفة نقص، فلا يلزم أن يكون كل كمال في الخالق كمالا في المخلوق.

قال ابن القيم : حظر الله على عباده المن بالصيغة، واختص به صفة لنفسه لأن من العباد تكدير وتعيير، ومن الله سبحانه وتعالى إفضال وتذكير .
–وأيضاً فإنه هو المنعم في نفس الأمر والعباد وسائط.
–وأيضاً الامتنان استعباد وكسر وإذلال لمن يمن عليه ولا تصلح العبودية والذل إلا لله.
–وأيضاً المنة أن يشهد المعطي أنه هو رب الفضل والإنعام وليس ذلك في الحقيقة إلا لله.
–وأيضاً فالمنان بعطائه يشهد نفسه مترفعاً عن الأخذ ويشهد ذل الأخذ وحاجته إليه وفاقته .
–وأيضاً فإن المعطي قد تولى الله ثوابه أضعاف ما أعطى .[25]

---

[25] بدائع الفوائد، (3/ 1140) فصل: "فصل في الفرق بين منة الله ومنة العبد"

(بل الله يمن عليكم)

إن الله تعالى هو الذي يمنَّ علينا وهو الذي هدانا، فله النعمة ، وله الفضل أن هدانا للإسلام وحبب قلوبنا في طاعته ، وأخذ بنواصينا إليه ، وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته .

والله تعالى يذكر عباده دائماً بفضله فيقول: **(وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) [النور: 21]**

أي: تذكروا أنكم تحت فضل الله تعالى ونعمته فهو المتفضل عليكم، وهو الذي وفقكم وهداكم للإسلام، ولو شاء لخذلكم ولسلط عليكم الأعداء، فاشكروه على فضله تعالى ونعمته .

هل تظن أن أي عبادة تؤديها الله في حاجة إليها؟

كلا كلا الله عز وجل قال في الحديث القدسي : **(يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني.)** من أنت حتى تبلغ من القوة أو العلم أو السيادة أن تنفع الله عز وجل أو تضر الله؟

لو كل العباد اجتمعوا على أن ينفعوا الله أو أن يضروا الله لا يصلون إلى شيء من ذلك ، وفي بقية الحديث قال : **(يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئا ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا.)** فلا العبادة تزيد في ملكي ولا المعصية تنقص من ملكي.

(يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فأعطيت لكل واحد مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص المخيط (الإبرة) إذا أدخل ماء البحر.)

هل الإبرة إذا أدخلناها ماء البحر وأخرجناها تنقص منه شيئا ؟!

فإذا أعطى الله الخلق جميعا حوائجهم ما ينقصون من ملكه شيئا سبحانه وتعالى.

والأعرابي كان فقيها حينما سألوه لمن هذه الغنم ؟

قال :هي لله في يدي .يعني أنا مؤتمن عليها.

فأنا وأنت وكل الناس ما نملكه فهو ملك لله أولا ؛ فالله تعالى مالك كل شيء وما ملك فهو صاحب المنة وهو صاحب الفضل وهو صاحب العطاء جل وعلا؛ فالذي أعطاك ومنع عني قادر أن يمنع عنك ويعطيني.

إذن فإن الله تعالى يمن على عباده بنعمه حتى يعلموا جميعا أن الشكر له جل وعلا ، وأن الافتقار إليه جل وعلا ، وأن الذي يعطي ويمنع هو سبحانه وتعالى فلا يرجو إلا ربه ولا يستعين إلا به جل وعلا.

إذن لما يمن الله تعالى، المنة هنا لتتذكر فقرك وحاجتك إلى الله سبحانه وتعالى وتتذكر مع هذا غناه عنك. الله غني عنا.

من نحن بالنسبة لله عز وجل؟ وما نكون؟ نحن لا شيء.

إذا كانت الدنيا كلها لا تساوي عنده جناح بعوضة. الدنيا كلها... فمن أنت تساوي وماذا أنا أساوي؟

وكل هذه الدنيا...إذا كانت الدنيا بأجمعها لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

إخواني، فنحن منغمسين في نعم الله.

قال – سبحانه -: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ** ﴾ [النحل: الآية 53]

وفي الحديث القدسي قال الله – سبحانه وتعالى -: **(يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته؛ فاستهدوني أهدكم .)**

ويذكر أنَّ عمر بن الخطاب حينما طُعن ، قال له عبد الله بن عباس – رضي الله عنهم أجمعين – مواسيًا: (يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذاك، لقد صحبت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون)

فرد قائلا: (أمّا ما ذكرت من صحبة رسول – صلى الله عليه وسلم – ورضاه: فإنما ذلك مِن مَنٍّ الله – تعالى – عليَّ، وأمّا ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه: فإنما ذاك مِن مَنٍّ الله عليَّ، وأمّا ما ترى من جزعي: فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله! لو أنَّ لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله – عز وجل – قبل أن أراه). رواه البخاري

فمن منا يستشعر فضل الله عليه ومنته أنه خلقنا وهدانا وكفانا وآوانا وأنعم علينا بطاعته، فكم من الناس الآن مع اللهو ومع العبث .

وكما يقول بعض السلف إن أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما أقامك .

إذا عملت أي عمل صالح؛ إذا أديت الصلاة ؛ إذا أديت الزكاة ؛ إذا صمت رمضان؛ إذا حججت إلى البيت الحرام ؛ إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ؛ إذا حضرت محاضرة أو درساً ؛ احمد الله أن وفقك فالمنة لله وحده .

والمسلم يعلم يقينا أنه لا يكون من أهل الجنة بمجرد عمله، بل بفضل الله تعالى وبرحمته، وإن كانت الأعمال من جملة الأسباب لدخول الجنة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)**

ومن الذكر الذي ورد بعد دبر كل صلاة أن يقول العبد: **(لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن)**، فله المن على عباده والفضل عليهم.

وعن البراء رضي الله عنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ، وهو ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره ، وكان رجلا كثير الشعر ، وهو يرتجز برجز عبد الله : [26]

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا

(26) شِعر الرَّجَز هو نوعٌ من الشعر العربي يتميز بوزنه الخاص، وغالبًا ما يُستخدم في مواقف الحماسة، أو الارتجال، أو الحروب، أو الأناشيد السريعة، ويتكوّن من تفعيلة واحدة تتكرر في كل شطر، وهي:مُسْتَفْعِلُنْ مستفعلن مستفعلن.

ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأعداء قد بغوا علينا

إذا أرادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته) . رواه الشيخان

فحقاً لله المنة على عباده، وله الفضل عليهم، فإذا أنعم على بعض العباد فهداهم وأقبل بقلوبهم على طاعته فإنه المتفضل وله الفضل في ذلك، وإذا خذل بعض العباد وحال بينهم وبين رشدهم، وأضلهم على علم فله الحكمة في ذلك، **يقول الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ) [الجاثية:23]**

فالله تعالى هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن هداه الله فقد تفضل عليه، ومن خذله وأضله فقد عامله بعدله.

وعدم المن على الله بالعمل الصالح أمر أدق من الإخلاص وأخفى، ويسميه ابن القيم – رحمه الله-: **"عدم شهود المنة "فقال: "أنفع العمل أن تغيب عن الناس بالإخلاص، وعن نفسك بشهود المنة".**

وقريب من هذا أن المصلي يقول بعد فراغه من الصلاة: **"أستغفر الله"**؛ حتى لا يعجب بصلاته، بل إنه يحس بتقصيره، وأنه لم يوفها حقها.

وطرح ابن القيم في كتاب الفوائد سؤالا فقال : ما معنى قول السلف : إن العبد ليعمل الحسنة يدخل بها النار ؟

فأجاب : يفعل الحسنة فلا يزال يمنُّ بها على ربه ، ويتكبر بها ، ويرى نفسه ، ويعجب بها ، ويستطيل بها ، ويقول فعلت وفعلت ، فيورثه ذلك من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه .

وفي هذا المعنى قال بعض السلف: ربّ طاعة أورثت عزاً واستكباراً، وربّ معصية أورثت ذلاً واستغفاراً .

العمل سبب لدخول الجنة وليس ثمن لدخول الجنة:

الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: لن يدخل أحدكم الجنة بعمله.قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته.

فالعمل سبب لدخول الجنة وليس ثمن لدخول الجنة ...مهما عملت من طاعات لن تبلغ ثمن شيء في الجنة.....الجنة لا يقابلها شيء من الدنيا كلها.

الرسول قال : "لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها."
والسوط :ما يضرب به من حبل أو جلد.

إذن لما يكون موضع صغير في الجنة لا تساوى معه الدنيا بأسرها....
فسبحان الله !!! كل عباداتك، كل طاعاتك هي من فضل الله عليك، هي من رحمة الله تعالى بك.

فالحمد لله الذي أكرمنا بنعمة الإسلام وأكرمنا بنعمة الهداية، وأكرمنا بنعمة البصيرة وأكرمنا بنعمة السجود بين يديه، وأكرمنا بهذه النعم كلها.

احذروا الإعجاب بالنفس:

احذروا بروز الأنا وحظوظ النفس في أي عمل لله فإن ذلك يفسده.

قال العلماء: آفة العبد رضاه عن نفسه، ومن نظر إلى نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها، ومن لم يتهم نفسه على دوام الأوقات فهو مغرور.

وقال الشافعي : إذا خفت على عملك العُجب فاذكر رضا من تطلب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، فمن فكر في ذلك صغر عنده عمله .

فنحن نعترف بفضل الله تعالى علينا، ونحمده على أن هدانا للإسلام، ونرغب إليه أن يعمنا بواسع رحمته وفضله، وأن يتجاوز عن أخطائنا ونقصنا وتقصيرنا، فنحن كلنا أخطاء إلا أن يتجاوز الله عنا.

إبليس يذكر عنه أنه كان من أعبد المخلوقات ، لكن لما برزت عنده الأنا وردّ الأمر على الله، وقال حينما أمر بالسجود لآدم أنا خير منه؛ قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: 34-35]

فالإنسان لا يغتر بطاعته، لا يغتر بهدى الله، لا يغتر بعطاء الله، لا يغتر بمال ملكه الله إياه، لا يغتر بعلم، لا يغتر بأي شيء، لو اغتررت بنفسك تهلك، تضيع.

هذا من فضل ربي

المؤمن دائما يستشعر معنى الافتقار إلى الله، فمهما ازداد علما أو مالا أو مكانة فليعلم أن هذا كله من عطاء الله سبحانه وتعالى.

نبي الله سليمان سبحان الله أعطاه الله ما أعطاه من الملك، ملك عظيم ، وكل ملوك الدنيا مجتمعين لن يصلوا إلى ما آتاه الله لسليمان ؛ فقد سخر الله له الجن والإنس والطير والريح، ولما رأى عرش بلقيس أمامه لم يتذكر قوته أو أنه الزعيم الملهم أو أنه الملك صاحب الألقاب والفخامة والضخامة... هذه الأشياء التي يخلعونها على أنفسهم إنما قال لله متواضعا: **(هذا من فضل ربي.)** الإنسان فينا ممكن يتكبر بشهادة أو يتكبر ؛ فما بالنا بملك سليمان؟

والرسول صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة فاتحا دخلها ومعه عشرة آلاف.... عشرة آلاف بالنسبة للأعداد الموجودة في هذا الوقت جيش ضخم، وكبير، ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

عندما استقبل جهة مكة وهو داخل إليها حني رأسه حتى كادت لحيته أن تمس الرحل (ظهر الناقة) تواضعا وإجلالا لله سبحانه وتعالى.

كان صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم يقول : **(إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد.)**

أنا عبد لله، لا ملك متغطرس ولا متجبر ولا ظالم.

ورأى رجل الرسول صلى الله عليه وسلم فبدأ يرتعد (والنبي من رآه يهابه ، سيدنا عمرو بن العاص يقول: والله ما ملأت عيني من رسول الله

هيبة له. عمرو بن العاص أسلم سنة سبعة هجرية يقول ما ملأت عيني من رسول الله هيبة له ولو قيل لي صف رسول الله ما استطعت)

فلما رآه الرجل هابه وارتعد. قال هون عليك يا أخي فإنما أنا ابن امرأة من مكة كانت تأكل القديد !! (27)

فالنبي مع ما أعطاه الله سيد ولد آدم، خاتم الأنبياء والمرسلين وإمامهم صلى الله عليه وسلم وخير خلق الله كان سيد المتواضعين لله عز وجل. كان يجلس بين أصحابه كواحد منهم لا يتكبر ولا يتعالى.

ولما كان في غزوة بدر كان عدد الجمال التي يركبونها سبعون جملا فقط، سبعون بالنسبة لثلاثمئة وأربعة عشر يعني كانوا ثلاثة على كل جمل.
فالرسول قسم الطريق مراحل؛ كل مرحلة من الطريق يركب شخص شخص من الثلاثة. يركب واحد ويمشي الاثنان.

وكان مع النبي علي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي.... فلما ركب رسول الله، اتفقا ألا ينزل إكبارا واحتراما له صلى الله عليه وسلم.

فلما انتهت المرحلة من الطريق، أراد أن ينزل قالوا لا يا رسول الله اتفقنا أن تظل راكبا.

قال: ما أنتما بأقوى على المشي مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكما.!!

وحق له صلى الله عليه وسلم أن يكون له ركوبة وحده يستقل بها طوال الطريق فهو القائد لكن كان قدوة كواحد من أصحابه.

يقول لهم أنتم سيأتي وقت وتضعفون عن المشي لأن الطريق طويل وأنا راغب في الأجر.

---

(27) القديد هو اللحم يقطعونه شرائح ويستقبلون به الشمس فيقدد يعني يصير يابس، وهي سيلة من وسائل الحفظ في هذا الوقت ثم بعد ذلك يأكلونه إذا أرادوا. فهذا كان حال الناس البسطاء لكن الغني لا يأكل اللحم إلا طازجا، أي بعد ذبحه مباشرة

فأي نجاح، أي إنجاز، انسب الفضل فيه لله يزدك الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]

ولذلك احذر أن يأتيك الخير إلى بابك ثم ترده متعاليا، أن يفتح لك باب إلى خير أو إلى الجنة أو إلى مساعدة محتاج أو إلى نصرة مظلوم ثم تتكبر وتقول لا... هذا ليس طريقي، أنا لا أحب ذلك، لو فتح لك باب خير، فاعلم أن الله أحبك أيا كان هذا الخير.

لو جعلك الله تعالى في مقام طاعة : إعانة لفقير، مساعدة لمحتاج، نصرة لمظلوم، تخفيف لألم مريض، فافرح افرح أن الله هيأ لك ذلك.

أهم ما يستفاد من الآيات:

1. الله سبحانه يعلم حقيقة ما في القلوب ولا يخفى عليه زيف ادعاءات الإيمان.
2. الادعاء الظاهري للإيمان لا ينفع إذا لم يصدقه العمل والإخلاص.
3. المنة الحقيقية لله وحده لأنه هو الذي هدى العبد ووفقه للإسلام.
4. من يظن أن بإسلامه يمنّ على الله أو رسوله فقد جهل مقام ربه.
5. الإسلام نعمة عظيمة لا تُقابل بالمنّ وإنما بالشكر والتواضع.
6. المسلم الصادق يعترف بأن الهداية فضل من الله وليست بجهده.
7. الله يعلم الغيب وما في الضمائر، فاحذر من مخالفة القلب للسان.
8. العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فكيف يمنّ على غيره؟
9. الإخلاص في الإيمان يستلزم ترك التفاخر بالطاعة والمنة بها.
10. كل نعمة على العبد هي فضل من الله تستوجب الشكر لا الفخر.

11. صفة "المنّان" من صفات الكمال لله، وهي في حق العبد مذمومة.

12. المؤمن الحق يرى نفسه مقصّرًا دائمًا ويستغفر بعد الطاعات.

13. الله غني عن عباده وأعمالهم، وهم الفقراء المحتاجون إليه

14. العبادة لا تُدخل الجنة بذاتها بل برحمة الله وفضله.

15. العبد إذا استشعر فضل الله عليه ازداد خشية وتواضعًا.

16. إخفاء الأعمال وحجب النفس عنها أنفع من رؤيتها والاغترار بها.

17. عدم شهود المنة من أعلى درجات الإخلاص في العمل.

18. المعصية مع الانكسار والتوبة خير من الطاعة مع العُجب والاستعلاء.

نسأل الله أن يأخذ بنواصينا إليه أخذ الكرام عليه ،

وأن يحفظنا بالإسلام قائمين،

وأن يحفظنا بالإسلام قاعدين ،

وأن يحفظنا في كل وقت وحين.

اللهم آمين.

****

تم تفسير السورة

والحمد لله ذي الفضل والمنة

ص	الموضوع
4	المقدمة
6	الفصل التمهيدي
10	الفصل الأول/ الأدب مع الله ورسوله
20	الفصل الثاني/ التثبت من الأخبار
30	الفصل الثالث/ "واعلموا أن فيكم رسول الله "
40	الفصل الرابع/ حلاوة الإيمان ومرارة العصيان
51	الفصل الخامس/ الإصلاح بين المسلمين
60	الفصل السادس/ النهي عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب
73	الفصل السابع/ النهي عن سوء الظن والتجسس
85	الفصل الثامن/ من مفسدات الأخوة (الغيبة)
102	الفصل التاسع/{إن أكرمكم عند الله أتقاكم }
113	الفصل العاشر/ الإسلام والإيمان
124	الفصل الحادي عشر/ يمنون عليك أن أسلموا